عدد خاص



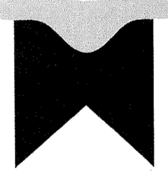
مجلة أدبية ثقافية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت
صدر العدد الأول سنة 1966
العدد 402 يناير 2004

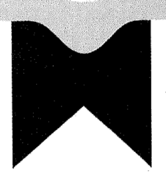
خالد سعود الزيد الراسخ في ذاكرة الابداع

المشاركون:
عبدالله خلف. د. سليمان الشطي. علي السبتي. فاضل خلف. يعقوب السبيعي. د. سعاد عبدالوهاب. د. سعد مصلوح. د. علي عاشور الجعفر. د. ليلى السبعان. ليلى محمد صالح. د. هيفاء السنعوسي. د. نسيمة الغيث. عباس يوسف الحداد. علي حسين الراشد. فاروق شوشة. سعدية مفرح. حسن خضر. سميرة اليعقوب.

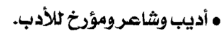
الراحل جسداً .. الباقي روحاً







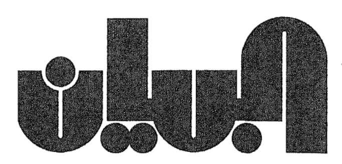




- ولد عام ١٩٣٧ وانتقل إلى رحمة الله في ١٢/١٠/٢٠٠١
- ظهرت مواهبه الشعرية في مرحلة الدراسة الثانوية
- عضو في رابطة الأدباء منذ سنة ١٩٦٦م.
- تولى سكرتارية تحرير مجلة «البيان».
- عين رئيساً لتحريرها عدة مرات.
- انتخب أميناً عاما للرابطة في عام ١٩٧٢ و١٩٧٣ ـ عضو في المجلس الاستشاري للإعلام ١٩٩١ ـ ١٩٩٣.
- أرخ للأدب في الكويت في موسوعته أدباء الكويت في قرنين
- أول إصدار له الأمثال العامية سنة ١٩٦١.
- خالد الفرج وآثاره ١٩٦٩م.
- له في الشعر (صلوات في معبد مهجور عام) ١٩٧٠، (بين واديك والقرى) ١٩٩٢ ومؤلفات كثيرة في مناحي الأدب والثقافة والمعرفة العامة.

وقفت مبهوت الرؤى حائراً
كحيرة المحزون في كربه
أقلب الطرف بلا آخر
أجوب هذا الشرق مع غربه

مختارات من شعره ص ٨٨ .



العدد 402 يناير 2004

مجلة أدبية ثقافية شهرية تصدر
عن رابطة الأدباء في الكويت

(صدر العدد الأول في أبريل 1966)

ثمن العدد

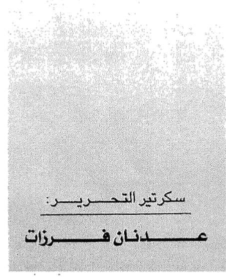
الكويت: 500 فلس، البحرين: 750 فلسا، قطر: 8 ريالات، دولة الامارات العربية المتحدة: 8 دراهم، سلطنة عمان: ريال واحد، السعودية: 8 ريالات، الأردن: دينار واحد، سورية: 50 ليرة، مصر: 3 جنيهات، المغرب 10 دراهم.

الاشتراك السنوي

للأفراد في الكويت 10 دنانير.
للأفراد في الخارج 15 ديناراً أو ما يعادلها.
للمؤسسات والوزارات في الداخل 20 ديناراً كويتياً.
للمؤسسات والوزارات خارج الكويت 25 ديناراً كويتياً أو ما يعادلها.

المراسلات

رئيس تحرير مجلة البيان ص.ب34043 العديلية - الكويت الرمز البريدي 73251 - هاتف المجلة: 2518286 - هاتف الرابطة: 2518282 / 2510602 - فاكس: 2510603



موقع رابطة الأدباء على الإنترنت
WWW.KuwaitWriters. Net

البريد الإلكتروني
Kwtwriters@ hot mail.com

قواعد النشر في مجلة «البيان»:

مجلة «البيان» مجلة أدبية ثقافية ، تصدر عن رابطة الأدباء في الكويت، وتعنى بنشر الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات الأصيلة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية، ويتم النشر فيها وفق القواعد التالية:

1 ـ أن تكون المادة خاصة بمجلة البيان وغير منشورة أو مرسلة إلى جهة أخرى.
2 ـ المواد المرسلة تكون مطبوعة على الآلة الكاتبة ومدققة لغويا ومرفقة بالأصل إذا كانت مترجمة.
3 ـ الأعمال الإبداعية والبحوث والدراسات تحال إلى مختصين ومحكمين للبت في صلاحيتها.
4 ـ موافاة المجلة بالسيرة الذاتية للكاتب مشتملة على الاسم الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف.
5 ـ المواد المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها فقط.

LITERARY JOURNAL ISSUED
BY KUWAIT WRITERS ASSOCIATION
(402) January - 2004



Al Bayan

Editor-in-chief
Abdullah Khalaf

**Correspondence
Should Be Addressed To:
The Editor:
Al Bayan Journal
P.0. Box: 34043 Audilyia -kuwait
Code: 73251 - Fax: 2510603
Tel: (Journal) 2518286 - 2518282-2510602**

في هذا العدد

خالد سعود الزيد

مع الراسخين في الأدب والثقافة

بقلم: عبد الله خلف

برزت مواهبه الشعرية مع افتتاح ثانوية الشويخ في السنة الدراسية 1953 ـ 1954.

بنيت هذه المدرسة في موقع يجمع بين بيئتن البحرية والصحراوية وخطط لمبانيها العملاقة لتكون نواة لجامعة المستقبل.. وكانت نزهة القاصدين.. وبالاضافة إلى كونها ثانوية جامعة لكل طلاب الكويت وأعداد هائلة من جنسيات عربية مختلفة من منطقة الخليج العربي إلى طلبة من فلسطين والجزائر والمغرب العربي، والعديد من الدول الشقيقة. ثانوية الشويخ لم تكن مدرسة فقط بل صارت منبراً ثقافياً رفيعاً يستقطب رجال الفكر والأدب من العالم العربي لإلقاء المحاضرات في (الموسم الثقافي) الذي رعاه الأستاذ عبد العزيز حسين رحمه الله حيث كان من أعمدة الصرح

التعليمي ومن بناة الدولة الحديثة، وأحد منارات الثقافة والفكر في دولة الكويت.

كنا ضمن الدفعة الأولى في هذه الثانوية، وكان يبهرنا هذا المنبر الثقافي الرفيع، وكانت المدرسة تكتظ بالمواطنين عند إحياء أي أمسية ثقافية رغم طول الطريق وعدم توفر السيارات لدى الغالبية... ظاهرة حضور المواطنين لاحتفالات المدارس كانت مشهودة خلافاً لأيامنا هذه، رغم كثرة المدارس وقربها من المناطق السكنية، فإن الحضور المتناقص تلاحظه كل المؤسسات والجمعيات الثقافية والمسرح.

رغم اتساع أوقات الفراغ وانتشار الثقافة والتعليم كحصيلة عكسية في المقارنة بين الحاضر والماضي.

هذا المنبر الثقافي الرفيع كان يرتقيه الطالب خالد سعود الزيد مع نفر قليل من الطلبة وأساتذة مميزين من رجال العلم والأدب والدين المبعوثين من العالم العربي.

كان خالد سعود الزيد يرتقي هذا المنبر الذي يهابه معظم الطلبة.. في هذا المنبر رأيناه شاعراً ومحدثاً ومحاوراً امتاز عن أقرانه ثم ظهرت ابداعاته في (رابطة الأدباء) وتعددت اصداراته الأدبية والثقافية الكثيرة.

عند صدور الجزء الأول من (أدباء الكويت في قرنين) كتب كثير من المتابعين للحركة الأدبية عن هذا الاصدار الهام.

كتب الأستاذ المرحوم أحمد فراج مقاله قال فيها: (إن الذين رووا لنا الأدب قديماً، والذين أرخوا للأدباء، هم من رووا أدبهم وأرخوا لهم، في عداد الأدباء سواء، بل لولاهم ما عرفنا كثيراً من تراثنا الأدبي شعراً ونثراً، وما يتضمنه من أحداث وتاريخ... والأستاذ خالد سعود لو لم يكن له إنتاج أدبي غير (أدباء الكويت) لاستحق أن يسلك في قائمة الأدباء... والأدب إنما هو رواية دراية) (١)

في جامعة الكويت لم نجد أستاذاً يشير إلى أدب المنطقة كل منهم كان يكرر ما تعلمه قبل نصف قرن، وبنفس المراجع القديمة كان الأساتذة يلقنوننا بها عن الحركة الأدبية في الوطن العربي في مطلع القرن العشرين وطلبنا منهم تقديم شيء عن الكويت التي كان فيها أدباء وشعراء منذ أواخر القرن التاسع عشر، وهناك أدباء في دول شبه الجزيرة العربية كالبحرين واليمن وعمان وبقية دول الخليج

فاستجاب لنا فقط الدكتور محمد حسن عبد الله وأعد دراسات عن الحركة الأدبية وقدمها لنا كمحاضرات قيمة في عام 1968 م (2) بعد أن وصلت الدفعة الأولى من الطلبة إلى السنة الثالثة.

ولكن الذي أنقذنا قبل ذلك فقدم مادة لتاريخ الأدب العربي في الكويت هو الأستاذ خالد سعود الزيد في كتابه (أدباء الكويت في قرنين) وعندما صدر الجزء الأول عام 1967 وهنا اعتمد عليه طلبة الكويت كمرجع شامل فيه بغية الطلبة.

في يناير عام 1978 ظهرت سلسلة عالم المعرفة، وكان العدد الأول بعنوان (الحضار) للدكتور حسين مؤنس واستبشرنا في العدد الثاني فبراير 1978 عندما حمل عنوان (اتجاهات الشعر العربي المعاصر) للدكتور إحسان عباس، ولقد صدمنا عندما رأيناه يغفل وجود الشعر في دول شبه الجزيرة والكويت، علماً أنه كلف من قبل (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) لكتابة الموضوع هذا رغم أن البلاد كان فيها حركة أدبية ونهضة شعرية، حيث ورثت الأدب والشعر من الرواد ا لأوائل في الكويت، ولم يشر د. إحسان عباس إلى أي دولة من دول شبه الجزيرة العربية وأغفلها جميعاً واعتمد على مراجعه القديمة. إذن المنقذ الوحيد الذي أسعفنا هو الأستاذ خالد سعود الزيد نعم المنقذ كما أطلق عليه هذه الصفة الدكتور سليمان الشطي عند صدور العدد الاول من (أدباء الكويت في قرنين) حيث قال عنه: «ما قولنا في بلد تمر الشهور الطوال دون أن تتمخض المطابع عن صفحة من كتاب أو كلمة من صفحة... ستار حزين يتوارى تحته العقل خجلاً لولا نفاذ أشعة من نور من قلوب ابتلت بحب الفكر فمجدته ولهثت وراءه متعبدة في محرابه».

خالد سعود الزيد برزت فيه صورة المنقذ مرتين الأولى عندما أحس بأن الأمثال العامية في الكويت) أخذت تهوى في مغيب لا أمل في الشروق بعده فأنقذ من شارف على الانحدار ودفع به فإذا هو بين الناس منشوراً.. والإنقاذ الثاني هو الكتاب الذي بين أيدينا (أدباء الكويت في قرنين) - ج1 ط1 - 11 (3).

هذا هو الشاعر والأديب بل مؤرخ الأدب العربي في الكويت المرحوم خالد سعود الزيد الذي نتشرف جميعاً اليوم في إصدار عدد خاص له من مجلة (البيان).

هوامش

ا- مجلة البيان العدد رقم 14 وأوردها الاستاذ خالد سعود في - أول الطبعة الثانية

2- طبع كتابه القيم (الحركة الأدبية والفكرية في الكويت) سنة 1973 من إصدرات رابطة الأدباء ولازال من المراجع المهمة لكل باحث.

(3) من كلمة نشرت في مجلة البيان العدد رقم 13 وجاءت في الطبعة الثانية من أدباء الكويت في قرنين



● الراحل مع صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد حفظه الله
في عقد قران ولده 27/6/1990



● الراحل مع الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح في عقد قران ولده 27/6/1990



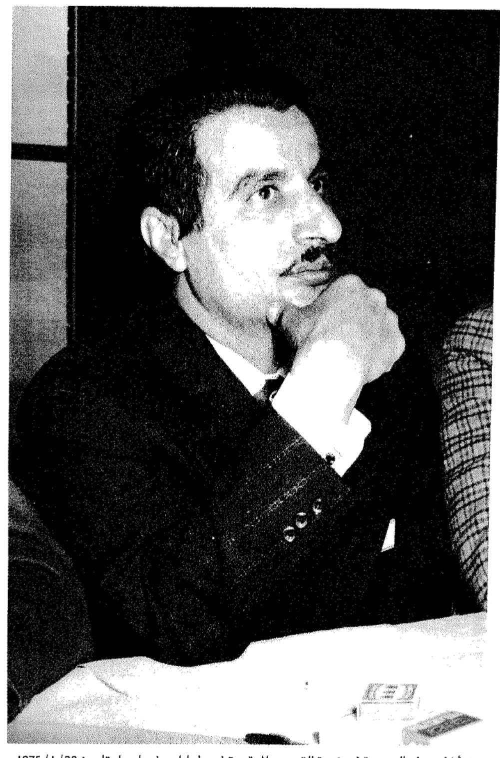
● في مكتبة الراحل بتاريخ 4/4/1999



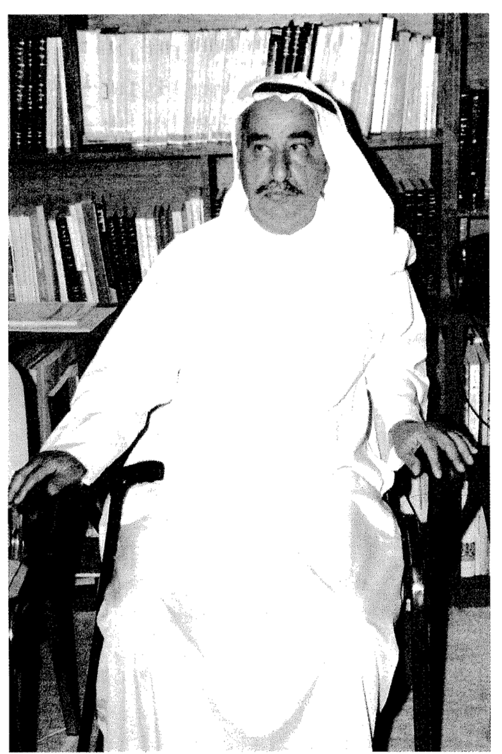
● مع الأستاذ علي السبتي والمرحوم الدكتور عبدالله العتيبي في نوفمبر من العام 1981 في منزل المرحوم بإذن الله الدكتور أحمد العدواني



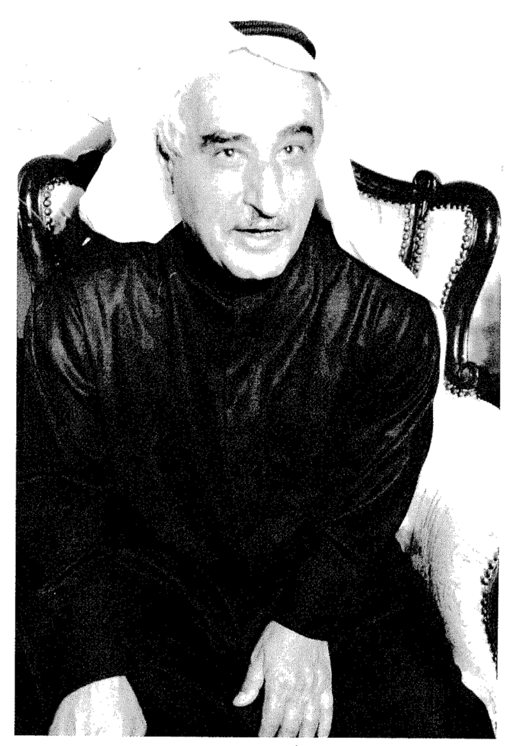
● في مكتبة الراحل بتاريخ 4/4/1999



● أخذت هذه الصورة في ندوة التعريب المعقودة في طرابلس في ليبيا بتاريخ 28/ 1/ 1975



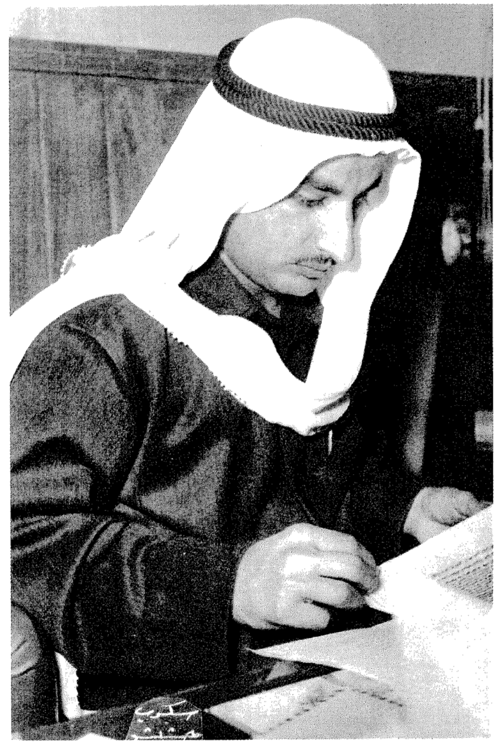
● في مكتبة الراحل بتاريخ 4/4/1999م



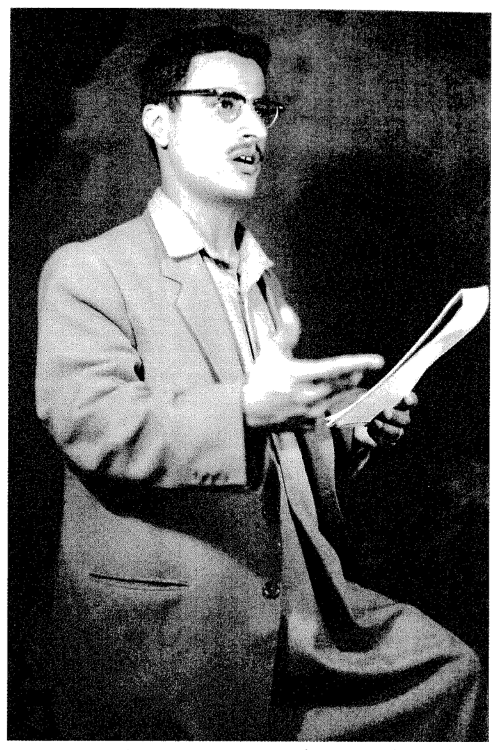
● أخذت في 17/1/1994



● أخذت في 17/1/1994



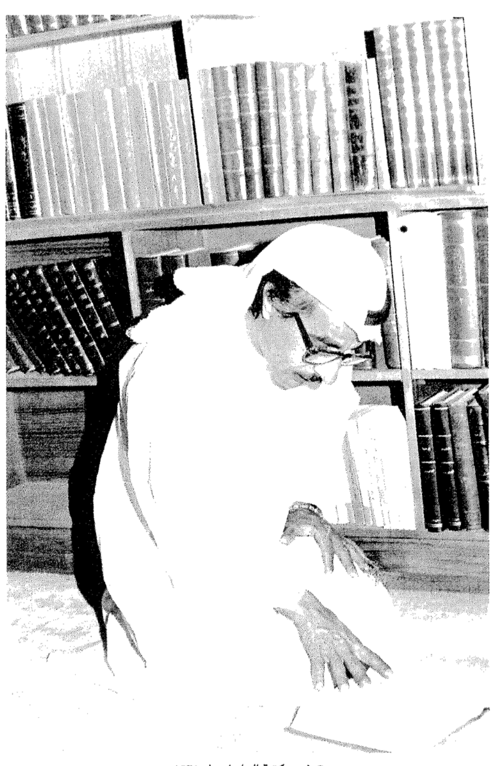
● عام 1964



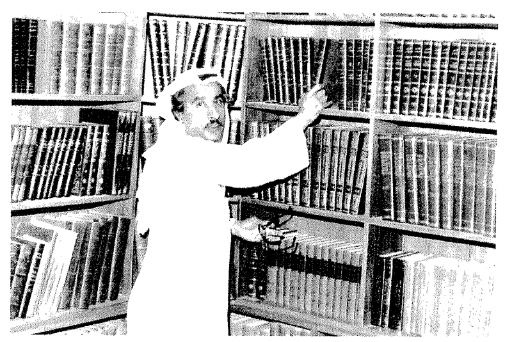
● عام 1963 وقال (نجله سعود) أن هذه الصورة كانت الخطبة التي أعدها لصلاة الجمعة



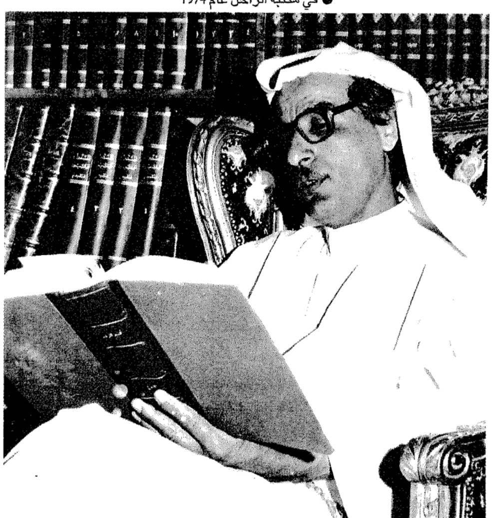
● أخذت بتاريخ 2/2/1976



● في مكتبة الراحل عام 1976



● في مكتبة الراحل عام 1974



● في مكتبة الراحل عام1974



● عام 1968

مع خالد سعود الزيد:

قراءة مجاورة لرحلة إيمانية في الحياة والشعر

بقلم: د. سليمان الشطي

◻ في أعماقه يستقر إيمان متحرك

◻ كان يقدر قيمة الدور الإنساني في زراعة الأفكار

◻ الشخصية العظيمة هي مبنى الحقيقة ومقرها الذي تهفو إليه نفس الباحث عن الفكرة العظيمة

كلمة أولى

عندما تتمثل لي صورة المرحوم خالد سعود الزيد لا أستطيع أن أتجاوز تلك المساحة العاطفية الرحبة التي تستقر في حيز كبير من القلب، وهي مساحة واسعة ممتدة من رحلة عمر هو جزء منها، تمثل جذراً أساسياً ومرتكزاً قامت عليه مسيرة حياتي، وهو يشغل من لحظات العمر الزمنية أبرزها وأقربها وأحبها إلى نفسي. أربعة عقود من زمن جميل، تحققت فيه مجاورة غنية مفيدة وممتعة فيها فيض من محبة لا تنسكب رخيصة للخارج في صورة كلمات جامدة أو مظاهر شكلية، ولكن حقائق تقصي وتبعد أي شيء يكدرها لتبقى في الذهن والخاطر، فقط، تلك الصورة الجميلة لأحسن الأزمان وأجمل اللحظات، وهي صورة لا أسمح بأن تمسحها الطوارئ العابرة أو تلغيها، فالعمر واحد

ولحظاته الزمنية الجميلة التي انطوت هي وحدها الباقية، وهي صورة لا تبرز إلا وخالد سعود يجلس متربعاً في القلب مستقراً والخاطر ذكرى والنفس بهجة، مهيمناً على العقل مكانة وتقديراً، محل لا يشغله غيره إلى هذه اللحظة التي أستعيد صورته وفي النفس حزن على عزيز راحل.

لقد شهدت تلك العقود الأربعة من الصحبة انفتاحاً وتطابقاً بين روحين كما شهدت تجاوراً عملاً وجهداً مشتركاً آثاره باقية بحيث أن ذكر أحدنا يستدعي الثاني لا محالة. هذا التطابق في عمر واحد عندما أشير إليه لأنه في حقيقته هو المدد الذي أستمد منه ما تخطه الكلمات عندي عندما أتحدث أو أكتب عن خالد سعود الزيد، منذ أن خططت الكلمة الأولى عنه مباشرة عند صدور كتابه الرائد «أدباء الكويت في قرنين» مروراً بكل ما قلته أو كتبته سابقاً أو لاحقاً، وتبقى دائماً زوايا كثيرة ألمسها في خالد سعود الإنسان الذي أحببت وقدرت، وأراها تتجلى في الشاعر المبدع وأقتبس منها عند الرجوع إلى الباحث المؤسس، وكلها تخرج من نبع واحد هو لا غيره مصدره الذي اعتمدت عليه، ومن هذا الفيض ستأتي هذه الوقفة عن رحلته التي سأتحدث عنها..

مؤشرات رحلة إيمانية

منذ التقينا عند نقطة التماس الأولى التي ربطت بيننا في أوائل الستينات من القرن الماضي، كان الجانب الإيماني بارزاً تنبض به كلمات التحاور إما مباشرة أو باستحضار التراث العربي الإسلامي الذي يحيي ويثبت هذا الإيمان.

كلانا ـ خالد سعود وأنا ـ تراثيان في تكويننا، تحركنا عاطفة إيمانية منفتحة على العالم الفكري، مهما تعددت ألوانه أو تناقضت أفكاره مع ما استقر في نفوسنا. وجاء الاختيار السياسي ليصب في مجرى الإحساس القومي الجارف حينذاك، ولكنه إحساس يرى ويتمسك بذلك البعد التراثي فهو مدده الأساسي الذي لا غنى عنه.

التقينا عند ذلك التراث، وهأنذا في لحظتي هذه تعود بي الذكرى فتحيي تلك الجلسة القديمة، حينما تقاربت رأسينا والتقت عينانا على صفحات كتاب «قصص العرب» الذي جمع أشتاتاً من حكايات تحمل أحداثاً ومعرفة وشعراً وتاريخاً.

ويريني التذكر الآن بوضوح تلك الورقة التي خط بها خالد سعود الزيد بقلمه أسماء عدد من الكتب لنقرأها، وهي كتب تنوعت، عربية وأجنبية، قديمة وحديثة، واستحضر بقوة الآن حديثه عن كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، الذي خصه فيما بعد بقصيدة أثيرة عنده، وراح يحدثني عن كتاب جواد مغنية «فلسفة المبدأ والمعاد».

وأغرب شيء أننا انتقلنا معاً فجأة للحديث عن فلسفة ليبنتز، إلى الآن لا أدري لماذا اختاره آنذاك بالذات دون غيره، هل لمذهبه القائم على علم الجوهر الروحي، القائل إن موجودات هذا العالم روحانية، قد يكون هذا، ولم نتوقف عند هذا الحد فقد امتدت قائمتنا

لتصل إلى كتاب تفسير الأحلام لفرويد!

وهكذا سارت الرحلة المعرفية الجامعة متجاورة متفاعلة لا حدود لسواحلها ولا أفق يحدها ومن ثم فالسير فيها قد يصرفني إلى ما أنا قاصده في هذه الكلمة التي اختارت الخط الإيماني عنده فأعود إلى السياق من مبتدئه فأقول:

لم أكن قد التقيت به مواجهة عندما صافحتني كلماته من بعيد بتلك اللمسة الإيمانية، فأول ما سمعت من شعره كانت تلك المحاولة الأولى، وأعني بها قصيدته التي قالها وهو طالب بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي، سمعتها شبه كاملة يرددها على مسمعي صديقنا المشترك خالد العنجري، وكما صدحت تلك الكلمات في آذان مستمعيها فدوى التصفيق، استقرت في نفسي فرددت منها:

نور بمكة قد أضاء وأشرقا
وأبان للناس الهداية والتقى

ورن في رأسي البيت الذي يقول فيه:

فبيوم مولده تقاصر قيصر
إذ قالت الكهان حسبك ما بقي

هكذا ابتدأ عند محمد - صلى الله عليه وسلم - وعند قصيدته التي قالها بعد أكثر من عقدين من الزمن سيلقى بمرساته عند أقدس حضرة.

وأضيف شيئاً آخر.

لم تكن تلك القصيدة وحدها هي مدخلي للتعرف على هذه النزعة الإيمانية، ولكن ثمة تأكيداً آخر مهما ترافق مع اللقاء الأول الذي ابتدأ بتقليب كتابه البكر: «من الأمثال العامية»، فقد كانت الكلمات التي تزين مفتتح الكتاب هي الآية القرآنية: ﴿**إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين**﴾ (سورة البقرة آية 26). وكما أثبت هذه الآية كاملة، فإن متن الكتاب لم تخل صفحاته، بل احتشدت، بذكر عدد من الآيات القرآنية التي جاورها أو استدعاها المثل. وأقول لنفسي الان لعل خالد سعود كان يعني نفسه أو يشير إلى أعماقها في جزء الآية الذي سمعته، فيما بعد، يكثر من ترديده: ﴿**فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم**﴾.

إن ثمة يقيناً ثابتاً ونزعة متحكمة تطلان دائماً بقوة، مهما صرفته صوارف الدهر ومشاغل الحياة، وتؤكدان أن تحت جلد خالد سعود وفي أعماقه وفي مراكز العصب الحساس المتوثب يستقر إيمان متحرك بقوة مرة وكامن ساكن مرة أخرى ولكنه مستقر وثابت في حيزه الذي لا يريم عنه تلمسه لمس اليد وترقبه العين بوضوح وتحسه النفوس المجاورة بصدق.

وأنتقل نقلة أخرى فأجد أنّ هذه البذرة الإيمانية تنطلق بوضوح، حين راح يضع قدمه بثبات في الساحة الشعرية حين تفجرت شاعريته بقصيدة «الزبداني» (كتبت سنة 1963 ونشرت في 1964) وهي القصيدة التي أعادته إلى الشعر بعد انصراف مؤقت إلى التأليف الذي قدمه للناس باعتباره أديباً باحثاً في كتابه الذي سبق ذكره:

«من الأمـــثـــال الـعـــامـــيـــة»، ومع هـذه القـصـيـدة أخذت شـاعـرية الشـاعـر مـوقـعـهـا، وأثبـتت وجـودها في مـوقع يصعب أن يتميز به أحد، فقد جاءت في شكل وطريقة وأسـاليب راسـخـة، ومع ذلك أخذت قصيدة «الزبداني» موقـعـهـا فـانطلقت من منطقـة التـأمل والوقـوف عند مرآة الطبيعة التي ولج إلى رحابها رومنسـيو ورمزيو شـعـراء تلك المرحلة فـأخـرجـوها من صـورتـهـا المنظورة الساكنة لتتحول إلى عالم مثير نافذ إلى الباطن الروحي، فلم تعد باباً من أبواب الوصف ولكنهـا عـوالم يتـغلغل في جـوانبـهـا المبدع ليـجسـد أو ينقل ذلك الجـانب الخفي والعصـي عن التعبير فيكون ثراء الطبيعة كنزاً يعيد الشاعر تشكيله لينقل إلينا تجربته النفسية أو الروحـيـة، هـكذا بدأهـا الرومـنسـيـون واسـتلمـهـا الرمـزيون لتكون بعـد ذلك المعين الكبـيـر الذي لا حـدود له في تجربة الشعر الحديث كله.

جـاءت قـصـيـدة «الزبداني» في هذا السـيـاق لتـتـعـامل وتجاور هـذا التناول الحيوي للطبيعة أو للعالم من حولنا، بـرزت ببنائـهـا الرزين والمحـتـشـد بشـاعـرية الصـورة وصـفـاء التـعـبـيـر وتكامل رؤية تحقـقت بفضل مـخـزون تراثي وتفـرد وتميـز في تذوقـه مع اسـتـيـعـاب للتطورات التي عـرفـتـهـا القصيدة العمودية، فشمس الزبداني، وهي تميل في مـغـيـبـهـا ليـست كـمـا اعـتـادت أن تراه أو تصـفـه التـجـارب القديمة، قرصاً دامياً مشعاً يسير نحو الأفق، ولكنها عند شاعرنا جمعت عدداً من المعـاني ينطلق إليـهـا من الإطار الخـارجي المحيط بها إلى ما وراء هذا كله، تلقفت عينه تلك العلاقة الحيوية القائمة بينها ومحيطها، بين المكان الذي تغادره شـمس الزبداني ورحلتـهـا في آخر يوم من أيامها المتكررة، فرأى فيها رحلة أخيرة متفردة، احتشدت بعاطفة الإحساس بالرحلة الأبدية التي يعيشها الإنسـان، فـجـاء تقلب الطرف والتـمـلمل ثم جيشان بدم يسير على الربى، وهي من جهة أخرى حورية يجذب النسيم إزارها، فكشف في هذا التـعـبـيـر عن عجزها إزاء هذه الرحلة المحتومة، عجز إزاء حركة الزمن الذي لا يتوقف، عجز المتحرك إزاء الثابت فراحت تتوصل أو تلوذ بالثابت الذي اكتسب قوة البقاء فجاء شامخاً:

جبل أقام على الوداد ملوحاً
بيـــديه رغم تقلب الحـــدثان
لم يخش زورات الظلام وبأسه
فـدنا إليــهــا في ثبـات جنان
وتعانقا فجرى اللجين سبائكاً
قـد ذوبتـه حـرارة الأشــجـان

ومن الثبات المناقض لحركة الرحلة إلى الشـبـيـبـه الذي يعـيش أبد الدهر راحلاً، حيث ينتقل الشاعر من الجبل الثـابت في مكانه إلى النهـر المتـحـرك الراحل، ولكن رحلته هي رحلة صناعة للحـياة وليست إفناء لها، رحلة عطاء متجدد:

متمهل الخطوات في جنباته
تتلاحم الأغصان بالأغصان
ويداعب الأزهار وهي براعم
فتثور فهي شقائق النعمان

وتأتي نقلة أخرى فإذا كان النهر يلاصق الأرض الثابتة فيعطيها جمالاً يتـبـدى في تلاحم الأغـصـان ودبيب الحـيـاة النامـيـة المتـغـيـرة صـعـوداً في

الأزهار، فإنه ينتقل من المرئيات إلى محسوسات أخرى تزخر بها الحياة، حيث تلحق في أجوائها تلك النسائم والأنغام المتحررة من حيز الثبات المجسد إلى التجريد المحلق:

فجرت من الأفق البعيد نسائم
سكرى تبث روائع الألحان

وهكذا تتوالى الأبيات، كل ملمح فيها حجر متفرد نسجاً وانسجاماً مع البناء المتكامل للقصيدة التي جمعت توحد الشعور الذي يعكس الرؤية الكلية وراء هذه الصور المتتابعة:

رسل من البدر التمام تدفقت
وسرت تلاطف مهجة الأكوان

وهي صور ومواقف تتوالى متآزرة متكاملة في لغة شعرية تزدهي بسلامتها وصفائها، فهي تتعامل مع «مهجة» الكون التي هي ذلك الشيء الخالص الذي يكون فيه محط النبض ودم القلب والروح، لذا فعندما يصل بنا الشاعر إلى مرحلة ختام التجربة، ونعيش معه تلك الرؤية الموحدة للطبيعة الحية الدالة التي ركب وجمع فيها بين صور متوارثة من شعرنا القديم وأخرى متجددة مستجيبة لعصرها، ليحط بنا عند نقطة الابتداء العظيمة لتلك الرحلة الكبرى التي سيدور حولها أكثر شعره، حيث مستقر الإيمان بما وراء هذا كله:

آمنت بالله العظيم، بصنعه
بخفائه عن مرصد الأجفان
لكنما هو في الحقيقة قائم
في العقل، في الأعماق، في الوجدان

كانت هذه حالة آنية عاشها الشاعر ووصفها في حديث له عن تجربته في نظم القصيدة (أنظرها في مقدمة ديوان صلوات في معبد مهجور)، ولكن لها دلالتها العامة على النبض الإيماني الساكن في مكمنه والذي سيصطلي بجذوة ستتفجر بعد ست سنوات لتمثل نقلته الثانية، ليس فيها صراحة المذاهب الظاهرية، كما بدا من بعض ملامح القصائد الأولى، ولكن ذلك الجانب الخفي المغفل والمتلائم مع التجربة الشعرية الصوفية.

***

عندما نشر ديوانه الأول وجعل عنوانه (صلوات في معبد مهجور 1970) كان هذا العنوان مؤشراً ليس على توجه محتواه، ولكنه يشير إلى الآتي الذي أخذ يتشكل، لقد كان الشاعر حينذاك يطوي صفحة أولى ليشكل صفحة جديدة أكمل وأشمل وأدل على رحلته الروحية التي كانت كامنة، منزوية، فإذا هي الآن على السطح، فهو إذن يجلي ما كان كامناً. كانت التجارب السابقة تأخذ من الظاهر الجميل الذي تتعامل معه القصيدة المتوارثة، والتي ترى في تجاور الكلمات اللانهائي وثراء اللغة الحية وتطويع الجديد كافياً وقادراً على تقديم تجربة متميزة.. ولكن دخوله الجديد كان إلى مرحلة البحث إلى ما وراء الكلمة، إلى التأويل الذي تنفتح فيه الكلمة عن روحانية مشعة، فيها تجاوز فيها خالد سعود الظاهر القديم إلى الباطن الجديد المركب، كانت قصيدة (تبارك الله) من آخر قصائد المرحلة المنصرمة، وهي توصلنا إلى قصيدته (الحقيقة المطلقة) التي ستتصدر ديوانه الثاني (كلمات من الألواح)، وفيها بعض سمات المنطقة

الوسطى، فاشتملت بعضاً من نفحات «الزبداني» وخاصة في ختامها الكاشف، ولقطاتها المستبطنة روح الطبيعة، كان فيها مؤشرات الطريق الجديدة. التقى فيها نغمان نابعان من قديمه وجديده، ليس فقط في الشكل الخارجي، حيث جمعت بينهما قافية النون، ولكن القرآن الجامع بين الاثنتين هو في تلك النقلة من دراية العقل إلى إيقاع نبض الروح، فالطبيعة هنا أصبحت حقيقة، والمرئيات تحولت إشارات إلى خارج حدودها الضيقة:

أستمد الوجود من سحر عينيها
أروي من لفتتيها بياني
يا رياضاً سكبت فيها معاني
هبيني بعضاً من الألحان

ليس غريباً، إذاً، أن تكون البداية الجديدة تنعطف لتأخذ من نقطة الإنطلاق الأولى، فقد عادت مع «الحقيقة المطلقة» وقفة التأمل والنظر والتبصر فيما هو ماثل أمامنا. كل هذا كان حاضراً في التجربتين، ولكن إذا كانت وقفته الأولى مع العناصر الشاخصة المجسدة، أو الجمال الماثل في شكله المادي المباشر، فإنه في هذه الوقفة الجديدة يناقش هنا شعوراً وجمالاً من نوع آخر خفي، ويبحث عن معاني غير ملموسة، ولكنها محسوسة من الداخل، كانت «الزبداني» حيزاً مكانياً متميزاً، أما «الحقيقة المطلقة» فمعنى غير محدد أو مقيد، فيه الكمال والثبات والكلية، ولكن القصيدتين تلتقيان وتتجاوران عند نقطة محددة، فالزبداني تختتم بالإيمان الظاهر الجلي، بينما الحقيقة المطلقة هي إيمان شوق بعيد الغور:

يا ارتياد المشوق ينداح بعداً
كلما لاح للعيون الرواني
خالك العاشقون مرمى منال
فإذا البعد مثله في التداني
كلما شئت أن أعبر عنها
أفلت اللفظ من يدي ولساني

(كلمات من الألواح ص 7)

وإذا كان للزبداني، المكان، نفوذه المادي الشاخص أمامه فانطلق وراء الجزئيات يرصدها ويعددها ويجمع ما بينها وبينه فتطول وقفته، فإنه هنا مقيد يتوقف عند اللحظة لا يتجاوزها، فتأتي الوقفة في شكل مقطوعة قصيرة مركزة تبحث عن معانيها، شبيهة باللحن السماوي الخاطف.

كانت تجربة خرج خالد سعود الزيد الشاعر القديم منها إلى الشاعر الجديد، وتجاوز خالد سعود الإنسان تدين الشكل إلى روحانية الداخل ولما كان الإنسان والشاعر قد تجاوزت عنده وفيه حداثة العصر ورصانة التراث، فإن الرحلة الروحية ستلتقي فيها مفاهيم الروحية الحديثة العالمية بتلك التجربة الصوفية الإسلامية القديمة، وتنصهر هذه في سبيكة التدين يرفدها ذلك البعد الثقافي التراثي الذي راضه وجال فيه من قبل باقتدار، فعرف مسالكه ودروبه فتبدى في هيئة جمعت بين الصفاء اللغوي المشبع بمحولات وطبقات تلك الثقافة المتراكمة لتومئ مشيرة إلى أبعاد ذات أغوار لمن يريد أن يتأمل فيها صادقاً.

إن تجربة خالد سعود الزيد تتخذ أشكالاً داخلية ليست ساكنة، ولكنها متوثبة، شعره وشاعريته المحكمة التكوين توحي بأن خطه التراثي هو

الخط الأبرز، إنه يأخذ من اصفى مشارب التراث وأدقها وأن تحولاته أو إذا شئت، ترقيه إلى معارج الكلمة الصوفية هو المدخل المناسب، فقد تجاوز المظاهر وأصبحت له لفتات ومنعطفات تحتاج إلى وقفة تفكر وتأني لاستكناه أغوارها.

لقد جاء ديوانه الثاني -كلمات من الألواح- ليقدم قفزة نوعية ولكنها من ذات تجربة الشاعر الذي انفتح على البعد الصوفي.

إن مصطلح «الألواح» يحمل معن أصداء لا تخفى مراميها الدينية والروحية:

﴿بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ﴾ (البروج الآية 22).

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ (الأعراف الآية 154).

﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ (سورة الأعراف 154).

وفي حركة الروحية الجديدة يطلق سيد رافع، صاحب الجلسات الروحية التي تعرف عليها خالد سعود وسلك طريقها في هذه المرحلة من رحلته الإيمانية، على ما كان يسجل عن طريق الوسيط الروحي مسمى «الألواح»، وهكذا تتطرد المعاني بعضها يستدعي البعض الآخر إلى ما لا نهاية.

وينفتح باب التجربة الصوفية الذي لا تكفيه وقفة عجلى مثل هذه هدفها مرور واستعراض تعريف متأمل ومتذوق ومجاور لبدء هذه التجربة، ولكن إذا كان لابد من أصابع مشيرة إلى مرتكزات وعلامات تشير إلى أول طريق بعيد المنال على غير المتذوق لحالة الوجد والجذب هذه، فإننا في محاولة التعرف نشير إلى: رحلة النفس والروح، والتطلع إلى المعلم المثال.

رحلة نفس:

يا صحراء الألم الممتد
سلمت بأن الرحلة وجد
يبدأ بالإنسان الكون ويرتد
(كلمات من الألواح ص 33)

الغاية القصوى لرحلة النفس هي تلك المتجهة إلى الحقيقة المطلقة والتي تمحورت في العودة، فهي خطرات نفس وأشواقها وفرحتها، نلمس هذا في القسم الأول من قصيدة «كلمات من الألواح» حيث تمحورت الغاية في العودة إلى تلك البداية التي سجلتها الألواح، حين كان الكل واحداً، فكان الإنفصال، لتأتي المجاهدة، ورحلة النفس التي لا تملك إلا ذلك الشوق الداخلي الجارف تواجه به عذابات الطريق، أما لغة الخطاب، فتلك الكلمة الشعرية التي تجاوزت صياغاتها الحدود الأولى وراحت تبحث عن التعبير المناسب لهذه المعاني، فالحقيقة مطلقة لا حدود لها، ولكن أطيافها تتجمع حول البحث عن طريق العودة إلى المنبع والمبتدأ، رحلة النفس والتوسل بالشخص المثال. تتجمع أطراف هذه الرحلة فنراها في محطات تجسدها هذه القصيدة المفصلية في تجربة خالد سعود الزيد، وسنرى:

التذكر:
صحبتك دهراً طويلاً
....
أحدث عنك، ومنك أستمد الحديث
حكاياته إلى سدرة،
ما لها من نهاية

رحلة العودة:
فديتك أين حديث البداية؟
فإني إلى مقلتيك أطير اشتياقاً،
إذا خطرت مقلتاك بقلبي الضرير
تفجر قلبي الضرير
وساح ليشهد ما حملت مقلتاك من السفن المثقلات
بكل المنى
فيا فرحة السندباد،
قفي يا سفين لقد عاد، يا بؤس ما يحمل الشاطئ

الخيبة:
لقد مات في قلبه الحلم الرائع
توارى الذي بيننا
كأن لم نكن واحداً
وتمتد عبر الدموع إلى باطنينا كأن لم نكن واحداً
لقد مزق الليل أوصالنا
وبدد في الكون أشلاءنا
فلا أنت أنت ولا ذا أنا
ألملم من خلفك الذكريات
وأجمع أطرافها
ولم يبق إلا فتيل السراج
هنا في الضلوع كسارية متعبة
تلوح فتخنقها الريح نلوي الشراع لتخرق ألواحها

العزم من جديد:
ألا دونها عاشق شاحب الوجه
وأعماقه معشبة
بآماله الخضر لا يعرف المستحيلا
يطاعن كل الخيول ويركض كل الجهات
ويحضن ألواحها ويشهد جيلاً فجيلاً
ونادى على الريح: يا ريح إني هنا
ألا أقلعي
لتبق لي المقلتان سفيناً وبحراً جميلاً
(كلمات من الألواح: 19. 20. 21)
وتنداح رحلة النفس في كثير من قصائد المرحلة، فنجد هذه النفس التي أقلقتها الرحلة التي لا نهاية لها في قصيدته «دعها»:

دعها فليس لمسرى عاشق أمد
طال السرى وحديث العاشقين غد
يا بعد ما تتمنى في ترحلها
من ذا يكابد ما تهوى وما تجد
لطالما هتفت أعماقها ونأت
بها المنى كل مناي دونه الأبد
فكلما قربت من منهل هتفت
بها الضلوع لقاص آخر يرد
حتام ينهبها في دربها ولع
وما يلذ لها معنى ولا بلد

أما في «قمم وهمم» فإننا سنلمح تلك الرحلة التي استمدت معينها وتوسلت باللغة القرآنية، فإذا كان في قصيدة «دعها» السابقة قد افتتحها بالنفس اللوامة قائلا:

لوامة أبدا لا تهدأ..
كم صرمت الأيام أحلامها لكنها
لا تستكين..

فهذه النفس اللوامة جاءت في القرآن في مقام القسم العظيم: **﴿فلا أقسم بالنفس اللوامة﴾** (سورة البلد آية 1)،

فإن في «قمم وهمم» سنجد أن هذا المدد القرآني يأخذ حيزاً واضحاً:

حسبها والشوق سائقها
وشذا الأحلام طارقها
إنها لم تستكن أبداً
وحناياها مطارقها
....
لغد ترخي أعنتها
وغد والله حارقها
خلفت في دربها همماً
قدداً سالت طرائقها
لو أرادت عيش ذي دعة
ما ارتضاها قط عاشقها
قمم من دون ما طمحت
وصوى لا عاش وامقها

(كلمات من الألواح: 55)

الرحلة هنا توسلت باللغة القرآنية، نفس يسوقها الشوق، وثمة طارق يأتي وطوارق تحث، الطارق الآتي، ﴿والسماء والطارق﴾ هو الأحلام النابعة من داخل الأعماق، من منطقة اللاوعي، وتشتبك بالتمثل والتمني المندفع من منطقة الوعي فتشتعل الجذوة. أما الطوارق فهي عنصر الحركة تنبع من أبرز أضلاع الصدر، الحنايا، وهي مطارق داخلية، من الجسد الحامل لهذه الذات المتطلعة، لذا حضرت وهيمنت اللغة القرآنية في النص:

﴿**ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق، وما كنا عن الخلق غافلين**﴾ (المؤمنون: 17).

﴿**وأنَّا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا**﴾ (سورة الجن الآية 11).

وفي الحديث الشريف: «إن للدين صوى ومناراً كمنار الطريق».

وستستمر رحلة بحث النفس دائبة، كلمة ومعنى وفكرة تتردد دون توان:

كم رحلة لرحلة
وقمة إلى قمم
خلفتها
دنوت منك قاب قوسين ولم
أعد أرى

(كلمات من الألواح، قصيدة الحلاج ص 79).

ناقتي أجهد السرى
خطوها والهوى السرى
وسؤالي: متى المدى
ينتهي؟ والمدى الذرا

(بين واديك والقرى ص 99)

الإنسان = المثال:

مثل قد تسجدا
وقديم تجددا
..
ليس شيء كمثله
جمع الحسن مفردا
حشد الكون كله
فيه حشداً مجددا
واستدار الزمان في
ذاته، مثلما بدا

(بين واديك واقرى ص 87 + 88)

للناس مذاهب في الوصول إلى الفكرة العميقة التي تهفو إليها نفوسهم وتكون هدى لهم، بعضهم يتعلق بالفكرة من حيث هي فكرة، ينجذب إليها مباشرة، ولا يثق إلا بأدواته الشخصية المباشرة، لا يلقي بالاً أو لا ينظر إلى الوسائل أو الهداة من البشر أو المبشرين بالأفكار إلا من حيث هم وسيلة ينظر بواسطتها وليس من

خلالها، وإذا تعلق بصاحب الأفكار فإنما تشغله الفكرة عن الشخص.

ولكن ثمة أناساً يثقون بقدرات الآخرين، ويرون أن المدارك العليا والأفكار السامية ليست مبذولة لأي كائن كان، فالوصول إليها يحتاج إلى الاقتراب من المتميزين من البشر الذين اكتسبوا مكانة سامية تؤهلهم ليكونوا هداة للطريق.

كان خالد سعود من أولئك الذين يقدرون قيمة الدور الإنساني في زراعة الأفكار أو إشاعة الإبداع، وكما نظر إلى الطبيعة الصامتة وتوسل بها للوصول إلى ما ورائها، فإنه سيتوقف في الوقت نفسه عند تلك الذات البشرية التي هي الأسمى والأكمل في الخلق.. لذلك كانت سجية فيه أنه يرفع من شأن العظماء، ويهفو طبعه إلى إعطائهم مكانتهم والتأمل في أفكارهم والحديث أو الكتابة عنهم، لذلك عندما جذبه التأليف الأدبي انصرفت كتاباته إلى العناية بالأشخاص المبدعين: راشد السيف وعبدالعزيز الرشيد. وعندما عزم على كتابة تاريخ الأدب في الكويت قام بتعريفه من خلال المبدعين أنفسهم، فكان كتابه (أدباء الكويت في قرنين) وليس الأدب في قرنين، وجاء كتابه خالد الفرج مكملاً لهذا الخط ويمكن أن نضم إلى هذا الخط عدداً كبيراً من كتاباته عن المبدعين.

وفي شعره كان يهفو، أيضا، إلى الحديث عن الذات البشرية المتميزة، فقد ظل يحلم بالكتابة شعراً عن الإمام علي بن أبي طالب، وشهدناه في مراحله الأولى يخص ذواتاً معينة بقصائده، وإذا كان رثاؤه لعبدالناصر أو للشاعر عبدالله السنان فرضته المحبة والمناسبة، فإن قصائد أخرى جاءت الشخصية لذاتها وفكرها، فكتب عن العامل والشاعر والغريب، ثم تناول الشخصيات الكبيرة، فكان للغزالي نصيبه في قصيدة أثيرة عنده:

تتبارى شمس المعاني انقيادا
لمراميك حين ترتاد مغنى
شامخات والحرف يسمو شموخا
كلما كان للحقيقة مبنى

(كلمات من الألواح ص 59)

فالشخصية العظيمة هي مبنى الحقيقة ومقرها الذي تهفو إليه نفس الباحث عن الفكرة العظيمة.. وهذا الملمح هو الذي سيتطور لتدخل الشخصيات الصوفية ـ الحلاج مثلا ـ لتكون قاسماً مشتركاً مباشرة أو إشارة في مرحلته التي غلب عليها الطابع الروحي، التعلق بالوسيلة في أكرم مظهر لها، في الإنسان الكامل الذي يردم النقص أينما كان ويمسك بيد الهدى وصولاً إلى الطريق.

إن المعلم هو الخطوة الموصلة إلى الإنسان الكامل، صورة الشخص المثال، لذا لا يمكن الدخول إلى المدارك العليا إلا بالوسيلة المتمثلة في معلم روحي. والإنسان الكامل هو ذاك الذي رأى الجذوة الكبرى، من شهد سدرة المنتهى، وهنا يتخذ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملمحاً خاصاً في صورة هذا المعلم، يقف في منطقة النور في أكثر من تجربة.

يمكن أن ننظر لحضور المعلم الأكبر: محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مواقع كثيرة، ليس فقط في المقطوعة

المتميزة التي تشرفت باسمه: (محمد) ولكن علينا أن نضم إليها قصيدة: صورة (بين واديك والقرى 85) وكذلك (ال ط س) في ديوانه (بين واديك والقرى ص 85، ص 91) فهذه ثلاثية تقدم لنا المعلم المثال، ويكز فيها على إشراق نبوته ومقامه:

ما لمعناه في الحقيقة حد
كل شيء من نوره مستمد

....

فهو ما بين ظاهر يتوارى
وهو ما بين باطن يتجدد
قد مشى عبره الوجود سباقاً
نحو غاياته التي لا تحد

....

وفي هذا المعلم العظيم:

قد تلاقى ركب السماء بركب ال
أرض في أحمد الهدى وهو فرد

(ص 26 كلمات من الألواح)

ومحمد هو الإنسان الكامل، تدبر قوله:

ما كنت إلا المنتهى
فيها وإنك مبتداها

....

يا واحدا في القبلتين
لأنت أول من بناها

لذلك تجلى التوجه إلى المعلم بقوله:

يا قبلة صلى لها الوجدان
ما أحلى شذاها

(بين واديك والقرى ص 94، 95)

وفي بحثه عن (الوعد الحق) يتقلب بين الشخصيات والرموز الدينية الأخرى، فيعايش النبي موسى في تلك اللحظة الفريدة في الوادي المقدس طوى:

فسائل لنا نار موسى وقد
أضيئت ولولاك لم توقد

(كلمات من الألواح ص 66)

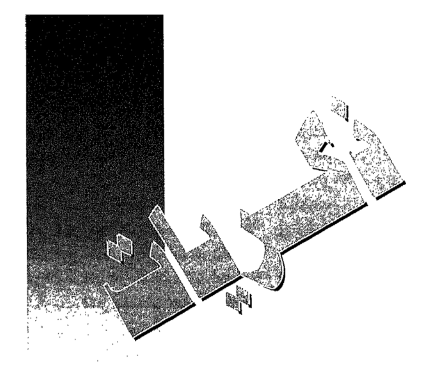
وتندمج التجارب الكبرى، فتتداخل وقفة موسى الخالدة مع تجربة الحلاج، فتطل لغة الصوفية ومفرداتها الخاصة التي تتجاوز الدلالات القريبة إلى مجاهل الرؤى العميقة العصية على الفهم الذي يتعامل مع الأفق المسطح:

أفنيتني بك حتى لم أعد جسداً
ورب مغتبط في جنة الجسد
وحسب مثلي أفراد لسيده
فليصعق الطود وليبق الهوى مددا
خلفت هارون في قومي فما حفظوا
بيتي ولا صان قدس البيت من أحد

(كلمات من الألواح ص 97، 80).

وهكذا تحط الرحلة الإيمانية التي بدأت بتوجه ظاهري واضح، ثم سارت حتى دخلت منطقة ضوء مبهرة ولكنه ذلك الإبهار الذي ينقل المحدق به من استخدام البصر إلى استخدام الباصرة، وهكذا ولج خالد سعود هذا الطريق، يبشر به مرة، ويوغل فيه منفرداً مرة أخرى، وكان في محاولته هذه يقدم تجربة انفرد بها دعوة وشعراً..

وتبقى بعد ذلك في قلبي صورة واحدة لخالد سعود الزيد الصديق والإنسان، صورة ثبت واستكن فيها الزمن، وتلاشى المكان، وتلاقت نفسان اجتمع في داخلهما يقين إيمان لا يتزعزع، وشوق دائب للمعرفة.



بقلم: فاضل خلف

في عام 1956 أقامت أسرة طارق بن زياد في ثانوية الشويخ - وكان يشرف عليها أستاذ اللغة الإنجليزية محمد جاد عفيفي حفلاً ثقافياً ألقيت فيها قصيدة بطلب من هذا الصديق الأديب، وقد جاء فيها:

إني هنا تحت اللواء الخافق
أهدي تحياتي لأسرة طارق
ضمت من الفتيان كل مهذّبٍ
فهي الجديرة بالثناء الفائق
يا أيها الشبان هذا مجدكم
يدعوكمُ بندائه المتلاحق
لبوا النداء وأظهروا عزماتكم
وامشوا إلى مسرى السهى بفيالق

والقصيدة في مجموعها حثٌّ على طلب العلم، والتشجيع على الجد والاجتهاد، وقد نشرت بعد ذلك في مجلة الأندلس التي تصدرها أسرة طارق(1).

وبعد إلقاء القصيدة أتاني شاب يدرس في ثانوية الشويخ، وكان من ضمن أعضاء هذه الأسرة الثقافية. بتوصية من الأستاذ جاد عفيفي، وقد قدم نفسه، بخالد سعود الزيد، ثم أخرج من بين أحد كتبه أوراقاً فيها قصائد ومقالات كتبها ونشر بعضها في الجرائد التي كانت تصدر في الكويت، لكي يطلعني على نشاطه الأدبي، وقد سررت أن يكون من بين الطلبة في المدرسة الثانوية الوحيدة في الكويت، شاب دون العشرين، له اهتمامات أدبية وله أعمال أدبية شعراً ونثراً.. وقد قال هو نفسه عن هذا اللقاء بعد أن أصبح من رجال الأدب:

تعرفت عليه حين كنت طالباً في ثانوية الشويخ، قدمني إليه مدرّسي الأستاذ محمد عفيفي مدرس اللغة الإنجليزية، وهو قصاص مثله، وأديب موهوب مثله، وله ذات الميول وذات المواهب، يجمعهما تواضع جم، ويقرّب بين شخصيتهما حبّ للآخرين، كل الآخرين(2).

وتمر الأيام فنجتمع مرة ثانية في منزل الأديب محمل صالح الإبراهيم وكان منزله وما يزال منتدى لأهل الأدب والمعرفة والثقافة الشاملة، وكان ذلك في عام 1961م، بعد رجوعي من كمبردج - إنجلترا، وبعد غياب ثلاثة أعوام، فأخذ يسألني عن أمور كنت أذيعها من دار الإذاعة الكويتية في مختلف الفنون الثقافية، وخاصة أحاديثي عن الأندلس وتاريخها وأدبها ورجالاتها(3).

ويطلب من المضيف الإبراهيم بعض قصائده التي نظمها في شتى الموضوعات والأغراض. وبعدها غادرت أرض الوطن للإلتحاق بعملي في سفارة الكويت بتونس.

وتمر الأيام وتمر الذكريات فيصبح الفتى الشاب أديباً وناقداً ودارساً للأدب فيقول:

«ولما التقيت به أطلعني على قصيدة له في تأميم القناة وأظنها حائية(4) فلم تعجبني، ولكني لم أكاشفه بما جال بخاطري حتى سمعت من المذياع يوماً قصيدة يتلوها أحد المذيعين له في رثاء صقر الشبيب عام توفاه الله تعالى. فقلت في نفسي: لقد ولد فاضل خلف شاعراً. وكتبت إليه وهو في تونس يعمل ملحقاً صحفياً أهنئه، ثم توثقت الصلة وازدادت قرباً وأُحكمت حباً(5).

وينتظم في تونس مهرجان الشعر الحادي عشر عام 1973م، ويحضر وفد من الكويت لهذا المهرجان يضم نخبة من الأدباء والشعراء وكان خالد سعود الزيد أحد أعضائه، وفي أحد الأيام قلت للشباب ما رأيكم في زيارة مدينة زغوان؟ فوافق البعض منهم، وكان الزيد أحدهم.

وكنا ستة في السيارة، والجو قارس البرودة، وكنا في أول الربيع في شهر مارس، والجو يبشر بالغيث النافع، ونشبت معركة ساخنة بين المدخنين وغير المدخنين، كان المدخنون أربعة من بينهم الزيد، وغير المدخنين ثلاثة من بينهم عبد الرزاق البصير، وكان البصير من أشدنا بغضاً للدخان، كان يفتح شباك السيارة، لكي يشم الهواء النقي، وهم يغلقونه لكي يتجنبوا برودة الطقس، وهكذا مرت ساعة

كـاملة ونـحن فـي شـد وجـذب إلى أن وصلنا إلى زغـوان، التي بقـينا فـيـهـا بعـضـاً من الوقت فـقـال البـصـيـر: «أي لبنان» وهو ينظر يميناً وشـمـالاً فضـحكنا وقال أحدنا: وكيف عرفت أن هذه المناظر تفوق المناظر الطبيعية في لبنان؟ فـضـحك معنا، وقد عـرفنا بعـد ذلك أن دليله كـان يهـمس له بذلك، وعندمـا ركـبنا السـيـارة للعـودة إلى العاصمة، نشبت المعركة ثانية، وكانت أشـرس من مـعـركـة الذهـاب، لأن المطر أخذ في عزف ألحانه الشـادية، ويقتحم السيارة إذا فتح شباك فيها.

وعندمـا غـادر الأخـوة تونس، كـان المطر قـد بدأ في الانـهـمـار ولمدة ثلاثة أيام، حـتى فـاض نهـر مـجـردة، فـدمّر كل مـا في طريقـه من أشـجـار وغـلال وأراضٍ زراعـيـة شـاسـعـة فـأعلنت الحكومةُ حوض النهر منطقة منكوبة. مما جعل المساعدات الإنسانية تأتيها من كل أنحـاء العـالم ومنهـا الكويت، تصل إلى تونس لمواجـهـة تلك الحـالة القاسية. وهكذا فعلها نـهر مجردة كما فعلها من قبل مرات ومرات.

وعندمـا صـدرت مـجلة «البـيـان» عن رابطة الأدباء، بعث إليَّ المرحوم الزيد أعداداً كثيرة منها لتوزيعـها على أهل الأدب والفكر، وفي مـقـدمـتهـم شـاعـر القيروان الكبير محمد القيرواني الذي بعث إليّ بقصـيـدة، والشـاعـر تتـحـرك قـريحـتـه عند هـبـوب أقل نـسـمـة من نسمات الشعر، وقد جاء فيها:

هـدية وردت مـن فـــاضـل خلف
دلت عـلى أنـه من أفـضل الخَلَفِ
وافت كما أشرق الإصباحُ منبئة
أن الكويـتي ذو نـبلٍ وذو شـــرف
في حلبـة الفكر مـا زالتْ سـوابقـه
لم تُشْوِ قصداً ولم تُجْنفْ عن الهدف
هذي «البيانُ» بهـا أُتحفت عن قدر
فـبـات عـندي حـقـاً أبهـر التـحـف

وهـي قـصـيـدة طويلة تغنِّى فـيـهـا بالكويت وأهلـهـا وثقـافتها وأدبها(6). فـرحـم الله تـعـالى خـالد سـعـود الزيد..

هوامش

(1) ديوان على ضـفـاف مـجـردة - الطبـعـة الثـانيـة 2003 ص 101 وعنوان القصيدة «نهضة الشباب».

(2) أدبـاء الكويت فـي قـرنين بقلم خـالد سـعـود الزيد، الطبـعـة الأولى 1982 ص 183.

(3) سياحات فكرية.

(4) مطلع القصيدة:

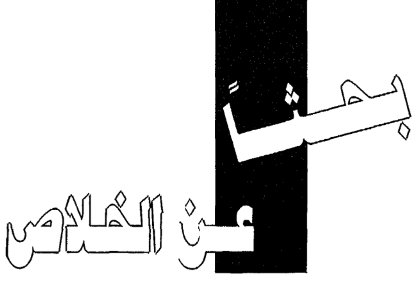
هبوا فقد طاب الكفاح

وبدت تباشير الصباح

وعنوانـهـا «بور سـعـيـد» وهـي في المجـمـوعـة الشـعـرية «على ضـفـاف مجردة» الطبعة الثانية 2003 ص 107.

(5) أدباء الكويت في قـرنين تأليف خـالد سـعـود الزيد، ص 183 الطبـعـة الأولى.

(6) أنظر على ضـفـاف مـجـردة ص 140 الطبعة الثانية 2003.



عبارات تربط بين الشعر والتصوف وتشرح إحداهما الأخرى

بقلم: د. سعاد عبد الوهاب

يظل هاجس الشاعر مشغولاً، ومشغوفاً بالتطواف حول هذه الخصوصية التي يحس دبيبها في نفسه، فتعلق بها وجدانه يريد أن يعرف حقيقتها، وإن علم النفس الذي يتخذ من الإبداع مجالاً لبحوثه ليستطيع أن يدلي بالكثير من الأسرار ويكشف باليقين أو بالحدس، لماذا يهتم الشاعر كل هذا الاهتمام بذاته المميزة بأنها ذات شاعرة، فليس كذلك أصحاب الأنشطة العملية في الحياة كالتجار والمعلمين والمهندسين على سبيل المثال، مما يؤكد أن البحث في كنه الذات، وفي سر هذا النشاط الخفي وقف على أصحاب المواهب الخاصة التي يمكن أن توصف أكثر من غيرها بأنها وليدة الفطرة، بأنها استعداد عقلي وعصبي ونفسي طبيعي، لا يمكن تكوينه بوسائل التدريب أو التثقيف، حتى وإن كان التدريب والتثقيف عاملاً مؤثراً في تنمية ذلك الاستعداد الفطري.

إنني أقدم بهذه اللفتة السريعة عن قضية إبداعية مهمة لنكون على استعداد لتلقي قصيدتين للشاعر خالد سعود الزيد، وردتا في ديوانه الأول: «صلوات في معبد مهجور». (الطبعة الأولى 1970) ولكن هل هي المصادفة، أم الترتيب المنطقي الدقيق، حتى لو لم يكن قد راعى ما نفكر فيه من الاعتبارات، أن تكون القصيدتان متعاقبتين، في ترابط منطقي بين المقدمة والنتيجة، فالقصيدة الأولى بعنوان «الشاعر» والقصيدة الأخرى بعنوان «القصيدة» وقد نظمهما متعاقبتين بنفس الترتيب، في زمن واحد تقريباً، فالأولى في مايو 1966، والأخرى في يوليو من العام نفسه، فبينهما فارق زمني ضئيل وتقارب إيقاعي شديد، وتوحد في الموضوع. بما يسمح بأن ننظر إليهما معاً وكأنهما خطوتان، أو نغمتان في قصيدة واحدة. ومن وجهة أخرى فإن طرفي الظاهرة الشعرية لا يخرج عنهما أي شيء مما يتعلق بالشعر، «فالشاعر والقصيدة» يجمعان في

أطوائهما كل ما يمكن أن يثار من تساؤلات حول الشعر، ولا نتوقع أن يكون خالد سعود الزيد فريداً في اهتمامه بتصوير شخصية الشاعر ومعاناته في قصيدة وتشريح (وليس تصوير) جسد القصيدة في قصيدة أخرى، فهناك قدماء وشعراء محدثون اهتموا بهذا أو بتلك، ولكن الشاعر الزيد ينفرد ربما بأنه تناولهما ، أو طرح اسئلتهما معاً، وأنه فعل هذا في مكان واحد من ديوانه الأول، بمعنى أن الطرح جاء مبكراً جداً، ولهذا تغلب عليه طبيعة من يتحسس المواقع ويستكشفها بالتدريج، يتعرف عليها بالممارسة، وفي هذا يختلف عن الشاعر المتمرس الذي طالت تجربته مع الشعر، فأمكنه بالممارسة والتجريب أن يعتصر الحقائق في خلاصات فلسفية يطل عليها من الأعلى، وقد يعبر عن اقتدار يلبس رداء الاستعلاء فهو الشاعر الذي لا يلحق به سابق أو لا حق في حركة الزمن، وهو الذي نظر الأعمى إلى أدبه، وأسمعت كلماته من به صمم (مع الاعتذار لعظمة المتنبي).

في ديوان «صلوات من كاظمة» الذي نشرته دار سعاد الصباح 1993 وجمع بين ثلاثة دواوين سابقة لخالد سعود الزيد هي: صلوات في معبد مهجور. كلمات من الألواح بين واديك والقرى - ختم الشاعر الزيد هذا السفر الثلاثي بما يشبه أن يكون جانباً من سيرة ذاتية، أو مقالة تحت عنوان « تجربتي مع الشعر» فكتب نحواً من عشرين صفحة، ومع أن عنوان هذه السيرة المختزلة يجمع الطرفين المشار إليهما بالقصيدتين سابقا: (الشاعر - القصيدة = تجربتي - مع الشعر) فإن الفرق - مع هذا التقارب - واضح ، لأن القصيدة غير الشعر، حتى وإن قلنا ان الشاعر يمكن أن يكون غير الشاعر حتى مع تطابق الظاهر، لأن «الشاعر» الأول يصح أن يكون أي شاعر، فكأنما يتصور الزيد هيئة الشاعر وموقعه في الوجود ومعاناته مع القصيدة تصورا، في حين أن «تجربتي» تحسم قضية الطرف الفاعل المؤثر، فالمتكلم هو الشاعر نفسه، والتجربة هي تجربته التي قد تتفق، وقد لا تتفق مع تجارب غيره من الشعراء . أما فرق ما بين الشعر والقصيدة فيعرفه كل مشتغل بالشعر إبداعاً أو نقداً أو تأريخاً، فالشعر جنس، والقصيدة نوع - حسب تقسيمات المناطقة - الشعر شائع في كل قول موزون مقفى، يدل على معنى، كما قرب صورته قدامة بن جعفر، أما القصيدة فهي بناء تشكيل، تكوين، مجموعة علاقات داخلية مادتها الأولية هذا القول، ولكن القصيدة تتجاوزه بأن تكون صادرة عن تجربة، وذات معنى كلي، ولها شكل جمالي مؤثر في وجدان من يتلقاها فالذي نريده هنا، أو نريد أن نوضحة أن خالد سعود الزيد حين كتب مقالته «تجربتي مع الشعر» لم يكن يكرر نثراً ما سبق أن طرحه شعراً، ولم يكن يشرحه أيضا، فالقصيدة تختلف عن الشعر، كما عرفنا، بل إن قراءة «تجربتي مع الشعر» ستدل على أمر آخر لا يصعب الاهتداء إليه، وهو أن الزيد كان قد عانى تحولاً فكرياً ونفسياً انعكس ثقافياً على موضوع القصيدة، وعلى

أسلوبها، وهو في مقالته هذه، أو سيرته، يضع علامات التحول، وكأنها توجيهات مطلوبة للقراءة. إن الزيد كان أميناً جداً مع قارئه ومع نفسه حين لم يغير شيئا مما خط قلمه في ديوانه الأول، فأعيد نشره مرة ثانية، وثالثة بالصياغة ذاتها، وبالقصائد نفسها، ثم يعلن «التحول» عن نفسه على غلاف ديوانه الثاني، بعنوان «كلمات من الألواح» وفرق كبير في الدلالة، وفي إيحاء الرمز بين المعبد المهجور، وبين الألواح المضيئة بالكلمات، ولعل المشترك «المقدس» في المعبد، والألواح يخفف من مسافة الافتراق، ولكنه لا يلغيها، وإذا استعرضنا عناوين القصائد في الديوانين سنجد الاهتمام بـ «ولدى» وقصة «الحب الحزين» في الديوان الأول، في حين نجد الغزالي والحلاج، ومحمداً صلى الله عليه وسلم - بما يؤكد أن الشاعر دخل طريق التصوف، وسيدل المحتوى الكلي لقصائد الديوانين على أن التصوف عند خالد سعود الزيد لم يبدأ من فراغ، لم يستجد في الديوان الثاني، فبذور الجذور في الديوان الاول، في قصيدة «تبارك الله» وهي المفتتح، ثم في قصيدة «ألحان وأقداح» وهي المختتم ولكن البذور تبرعمت على نحو ما عرفنا في الديوان الثاني الذي يوشك أن يكون ديواناً من الشعر الصوفي الخالص، حتى في مدائح المدن (العيد روسية والنزوية) فإن الشفافية الروحية التي دخل منها إلى تاريخ هذه المدن، وخصائصها هي استمداد لمعين نفسه المقدسة لرموز الماضي والمانحة للدلالات عبر استقراء خاص للتاريخ. أما الديوان الثالث فقد زاحمته قصائد كارثة الغزو (1990)، ومع هذا ظل الملمح الصوفي مشعا، سواء ما كتب قبل حادثة الغزو، مثل آخر قصائد الديوان: «رسالة» وقصيدة «الطواسين»، أو بعد تلك الحادثة،، مثل قصيدة «بين واديك والقرى» التي حمل الديوان عنوانها، فهذه القصائد الثلاث لا تقرأ إلا من منظور صوفي، ومن رؤية رمزية، وقد دلت مقالته عن تجربته مع الشعر على وفائه لنقائضه من المنظور الصوفي نفسه، وهذا يؤكد اعتناءه بالتحول، كما يؤكد أصالة التوجه، حتى يقول مقوماً مرحلة النقيض، قبل التحول: «لست آسفا على ما تباهيت به من زندقة وكفر أحياناً فيما مضى لي من عمر، فكل سوء أدب يقود إلى أدب، في نظر أبي العباس المرسي قدس الله روحه، وهذا شأن كل امرئ يتقلب في يد القلق ركضاً وراء حقيقة ينشدها ثم يقول: «لقد عشت غربة روحية قبل أن ترسو سفينة تطوافيء، وعشت غربة جسدية، فسافرت كثيرا بمركب الغربتين، وتنقلت في بلاد الله الواسعة منتشراً في الأرض، وفي الكتب متقلبا ما بينهما زمناً طويلاً، كلما لامست القرب داناني اغتراب يبعدني، وكلما شفني سراب لحظني غدير يبهرني»، وهذا ما تصوره قصيدة الغريب التي نظمتها في عام 1964 » إن عبارات خالد سعود الزيد في هذا الاقتباس تربط بين التجربة الصوفية والتجربة الشعرية، فتشرح إحداهما بالأخرى، وتداخل بينهما، بل تجعل منهما شيئا واحدا، هو نوع

من أحوال المريد، وهو يسعى إلى الحضرة، وحضرة الشعر، وحضرة الوجد، وهما عند الشاعر الصوفي شيء واحد. ومن الواضح في سيرة الزيد أن منتصف الستينيات كان مرحلة التحول الحاسم في الاتجاه الصوفي، إذ يذكر لقاء مع الشاعر الأديب عبد الله الحاتم في مصيف «الزبداني» بسوريا سنة 1963 ويذكر أن هذا اللقاء كان ذا أثر فكري وثقافي، لعل طبيعة المصيف السوري الساحرة أضفت عليه تأثيرا عاطفيا انفعاليا حادا، وعبارة الزيد ذات النكهة الصوفية تدل على هذا أيضا، إذ يقول: «ومن الزبداني تنشق قصيدة عودة قلب، لتدخل حظيرة روح القدس من عالم الشعر.

وفي هذه الأثناء أقبلت على كتب التصوف أقرأها «وتدل عبارته على أنه وجد عناء في تقبل أقوال الصوفية، التي تختلف إلى درجة التناقض مع ما درجت عليه ثقافته الفقهية من قبل من ثم يصل إلى القصيدتين اللتين افتتحنا بهما هذه المقالة الموجزة وسيدل تعليقه عليهما على مقدار ما كان يعاني من قلق في المصلح وما يذل عليه من وعي بالتكوين، فيقول: « وما قصيدة «الشاعر»، ولا قصيدة «القصيدة» إلا تنفيس عما كان يضيق به خاطري أحياناً، فأوغل في ذاتي متلمساً الخلاص، ولكنهما في الحقيقة لم تكونو سبيل الخلاص، ولا نهاية المطاف، لأن القصيدتين ما كانتا تعبيراً شاملاً عن خلجات النفس وتطلعات الوجدان «إن كلمة» الخلاص هي التي تستأثر بالاهتمام في هذا الوصف كله، والتعبير بالقصيدة هو نوع من الخلاص، حتى وإن يكن خلاصاً وقتياً، ولكنه خلاص نفسي، تفريغ لحالة من الانفعال وتوازن بعد احتشاد، يتنفس في القصيدة، ولكن من الواضح أن الشاعر كان يبحث عن نوع آخر من الخلاص، هو الخلاص الروحي، الذي يختلف عن الخلاص النفسي، لأن الخلاص الروحي يعتمد على قوة التفويض، قوة التسليم القدري، قوة الغنى عن طريق الاستغناء وليس عن طريق الحيازة والاقتناء، وهكذا نكتشف أن الشاعر نفسه في هذه المرحلة، وحتى منتصف الستينيات، كان يبحث عن شيء ويجرب شيئا آخر، يكتب قصيدة توصله إلى توازن نفسي وقتي، في حين أنه يبحث عن خلاص روحي مطلق، وقد احتاج إلى عدة سنوات أخرى لكي يتجاوز الخطوة الأولى: الخلاص النفسي بالشعر، إلى الخطوة الثانية: الخلاص الروحي بالتصوف، الذي أنتج شعراً خاصاً به في مرحلة تالية.

ونعود إلى نقطة البداية لنلقي نظرة على مكونات القصيدتين، وكيف تجسدت فيهما خصائص التجربة المستجمعة في العنوان. ففي قصيدة «الشاعر» يبدأ بهذا البيت:

صب يداعبه الجمال فيسجع
كلف بألحان الصبابة مولع
يوحي إليك ببيانه عن رقة
كالبلبل الغريد لا يتصنع
يسقيك كأس الحزن وهو مغرد
ويذيب فيك الأنس وهو الموجع

نتـأمل حـالة «الحـضـور» التي يجـسـدها انـتـشـار صـيـغـة الـفـعل المضـارع: يداعب، يوحي، يسـجـع، يتصنع، يسقي، يذيب، ونتأمل ثانيا المفردات ذات الاشعاع الصوفي، أو على الأقل: الوجداني مثل الصبابة، والألحان، والولع، والوحي، والبلبل، والأنس.

ولكن الشـاعـر لا يكتـفي بـهـذا، إن الهـاجس الصـوفي يزاحم الهـاجس الشـعري ويصبغه بألوانه، حتى يقول في البيتين التاليين:

نشوان من ذوب الحشاشة نسجه
ومن الحـقـيـقـة هديه والمنزع
يرنو إلى الأفق البـعـيـد بلحظة
فـإذا الـوجـود بناظريه مـجـمـع

وهنا تتداخل، بل تتمازج الشعرية والصـوفـيـة، إلى أن يفـاجـئنا البـيت التـالي، فـإذا هـو شـعـر وتصـوف في سـيـاق واحـد، يصـدق على الشـاعـر، ولكنه ينطبق على الصـوفي في مـوقف الدهشة والاستكناه:

في صـمـتـه سـر، وفي إنشـاده
سـحـر، يفرق مـا يـشـاء ويجمع

أمـا في قـصـيـدة «القـصـيـدة» فـإنه يدخل إليها من زاوية الذات:

إني سكبتك من أعماق وجداني
يا مهبط الوحي يا فيحاء بستاني

ولقد استخدم في القصيدة مفردات التجربة الصوفية، وهي واضحة في البيت السابق بل إن بعض الأبيات تكاد تكون صـوفـيـة المعنى واللفظ بشكل مطلق، وسـيـكون من الظلم للنص أن نجـتـزئ منه بيتـا أو أبياتـا، ومع هذا لا مفر من الاجتزاء:

فـأنت خـمرة كـأس حين اسكبـهـا
ولا كـؤوس لمن وجـدانـه فـانِ
تشجيك آهات قلبي حين أرسلها
وتستـبـيك نوايا لحظي الجاني
لولاك مـا وسمت عـيني مدامـعـهـا
على الوجود لـتبقى كـأس ألحان
ولا تجلت خـفـايا النفس عـابقة
بجـوهر الروح من أعـمـاق فنان

وبعـد بيتين يقـول مـالا يقـال إلا في التطلع للحضرة، وفي الحلم بالمثول:

فـأنت مظهر هذا الكون نسمعه
وحـيـاً ونعـرفه رسـمـاً بإمـعـان
ومـقلة الحق تبـدي كل كـامنة
من الحـيـاة بلا زيف وبهـتـان

إننا نرسل القـول إرسـالاً بعـد أن قدمنا الدليل على أن «الحالة الصوفية» أسـاسـيـة، وجـوهرية في التـعـامل مع شـعـر خـالد سـعـود الزيد، حـتى مع القصائد التي قد يدل ظاهرها على أنها استجابة لمناسبات وقتية أو حـالات عـابرة، وأن مـا كان يظنه الحاداً أو كفراً في زعـمـه لم يسجله في شعـره، وهذا يدل على هـوانه في نفـسـه، كـمـا أن الأمـور دائمـاً في حـالة الزيد سـتكون ذات ظاهر وباطن، أو أن له ظناً فـيـهـا، وقـد يعطي التـحليل قـولا آخر، على مـا رأينا في قـصـيـدتي «الشـاعـر» و«القصيدة» فمع مشروعية الطرح من الناحية النقدية ومع مـا قرره الشـاعـر نفـسـه أنهـمـا كـانتـا في مـرحلة القلق والبـحث عن طريق للخـلاص، نجـد أن مفردات القصيدتين، والسياق الدلالي فـيـهـمـا ينحاز إلى مـعـجم التـصـوف، ومـصطلحـاته، ويدل على اسـتـقـرار شعائره ومقولاته في مخزون الشعور والذاكرة لدى خالد سعود الزيد.

مدارج الشعرية

في ديوان

خالد سعود الزيد

بقلم: د. سعد مصلوح

من المسلمات التي تلقاها أهل العلم بالقبول أن الشعر الحق هو صناعة وثقافة، وأن الاعتراف بعطاء الموهبة ومَلَكة الإبداع، لا ينبغي أن يُفضي إلى التسليم الغالط بأن الشعر وحي يوحي، وفيض يتلقاه الشاعر من غيابة الأحلام، فيستنسخه كلاماً منسوق الفواصل، مُطْرِب الإيقاع، تُراضُ به عَواصي المشاعر، وتُسْتَعطَفُ به نَوافِرُ القلوب.

وإذا صح ذلك - وهو صحيح - كان للزمن أثر غير منكور في إنضاج التجربة الشعرية، وبهذا الأثر تمتاز أواخر القصيد من بواكيرها؛ إذ

تستحكم الخبرة، وتَسْتَحصِدُ الموهبة.

وهكذا ترقى الكلمة الشعرية في مراقي الإبداع ومدارج الشعرية عند الشاعر الحق، بما يحقق له تمام الفَوْق، ورهافة الذوق.

وشاعرنا العظيم خالد سعود الزيد ليس بدعاً من الشعراء، وليس ديوانه كذلك بدعاً من الدواوين، فالتفاوت راتبٌ بين الخلق، مفاضٌ فيما يُسطَّرون وما يبدعون. غير أن ما يستيقظ النظرَ ويعطف القلب في هذا الديوان المُعجب أنه يقف فذّاً بين قلة من دواوين الشعر العربي، ليقدّم دليلاً على وثاقة العلاقة الشابكة بين الترقي في مدارج الشعرية، والترقي في مدارج التجربة الروحية التي صدق بها شاعرنا نفسه وربه؛ فاستوقد في أعماقه نار الحكمة، وفَرَق بإبداعه بحور الشعر على ثَلَج من النفس، واستبصار من القلب، وهكذا فاض على لسانه بديع الشعر كالسيل العَجّاج تدفقاً، وكالسراج الوهّاج تألقاً.

وكانت تجربته الشعرية طِباقاً لتجربته الروحية، وهو من كلتيهما ولكلتيهما قابس مقتبس، وفيما يأتي فَضْلُ بيانٍ وإيضاح.

لقد كانت أولى الخُطى على طريق السلوك إقراراً بوجود واجب الوجود، وإذعاناً للأدلة المشهودة بالحس على بديع الصنع وإحاطة العلم وطلاقة القدرة، وهذا الإيمان بما يُوجبه إعمال العقل، والاستدلالُ بالشاهد على الغائب، والإذعانُ لآيات الإبداع في الكون هو شَريكةٌ بين شاعرنا وكثير من ذوي الوجدان المؤمن، والعبارة عنها قسائم بينه وبين غيره من البلغاء وفرسان الكلام من قديم. ذلكم هو ما يتجلى في أولى قصائد ديوانه الأول «صلوات في معبد مهجور» التي اتخذ لها عنواناً «تبارك الله» وصاغها عام تسعة وستين. وفيها تقول أبياتها الخواتيم:

انظرُ، تجــده الله، آثارُه
ملموسة تنطقُ عن قــرُبِهِ
مِن عالمٍ غـاد ومَن رائح
وثابتٍ ما حَادَ عن سربه
فالشمسُ تجرى في مداها الذي
حدده، والبدرُ في دَربِه
ما زاغَ عَن خطٍّ لهُ كوكب
كلا، ولم يَجنح على تربه
فالكلُ يجرى في مداهُ الذي
قَدَّرَهُ الرحمنُ في غيبه
تَبـارَكَ اللهُ بآلائه
ليسَ لهُ مِن خالقٍ مُشبِه

نقرأ الأبياتَ فنستمتعُ حقَّ الاستمتاع بجمال الصياغة، وتلاؤمِ النسج، وبُحبُوحة القافية، وبمقطع القصيدة الذي يفضي بنا إلى سكون النفس، وارتياح القلب حين يبحر وَسَط أمواج الأسئلة الحائرة الصخابة، ثم ينتهي إلى الجواب الذي يرتاحه العقلُ بنية بعد الحيرة. بيد أن القصيدة من عنوانها إلى جمالياتها ومن تفصيلات الفكر إلى الاستدلال تردك رداً إلى مصادرها المعروفة في بلاغة القرآن وروائع التراث، إذ تتقاطع في ذلك على نحو ظاهر مع آيات «يس» ومع خطاب قس بن

ساعدة الإيادي في عكاظ. ولعل ذلكم هو ما نلتقيه في ختام قصيدته الثانية من الديوان نفسه، معقباً على ما آنس من جمال الطبيعة في الزبداني:

آمنتُ بالله العظيم، بصنعه
بخفائه عن مرصد الأجفانِ
لكنما هو في الحقيقة قائم
في العقل، في الأعماق، في الوجدانِ

إن استمتاعنا بهذا القول الشعري هو استمتاع بما تحقق له من تصدية للفكرة الشائعة في التراث؛ إذ هي تصدية - وإن كانت لا تروعنا بجديد - تحمل بصمة شاعر هضم تراثه حتى تضلّع به شبعاً، وتَحَبَّب ريّاً، فاستطاع أن يقدم لنا قصيدا تتسمع فيه أصداء الشعراء الفحول. ويبقى لنا أننا نتحسس في القصيدة إيمان العقل الذي هو هبة الله للإنسان، ليتدبر به أمور المعاش، وليستحق به أن يكون مناط التكليف.

غير أن شاعرنا ما يلبث أن يحمله القدر الجميل إلى لجة التوحيد، فيدرك أن «العقل» وإن كان هادياً لمسيرته في الأول لابد أن يكون له «فوق» وأنه إذا افتقد «الفوق» سقط فيما تحت المادة، فغلبت عليه، وسطت به، وضاع منه الدليل.

لقد وقف به العقل على أبواب الملكوت، لكنه متشوف إلى العروج، ولابد للعروج من آلة أخرى هي القلب الذي يسع العوالم كلها، فيستحيل ما سوى الحقيقة المطلقة عدماً، ويتحقق له في رحاب الحقيقة لذة الوجدان، والعدم لا يكون أعدَم من عدم، أما الوجدان فيكون أبين من وجدان، وبذلك تنفسح أمام القلب عوالم الترقي في مدارج السلوك، وأمام القصيدة المعبرة عن ذات القلب عوالمُ الترقي في مدارج الشعرية، ويكون السالك مصدر الإلهام للشاعر، والشاعر تجلياً لغوياً جمالياً للسالك.

ومن هذا وذاك يتحقق التحول العظيم في شعرية خالد سعود الزيد، وإلا فَبِمَ نفسر روعة المذاق وجمال التفرد في قصائده التي نطق بها بعد أن خاض لجة العشق، واكتوى بلذة نار الوصول بعد الفصول. يقص علينا شاعرنا حديثه مع المعلم إذ سأله متى الاجتياز، وفي كل طريق حجاز؟ ثم ينطق بكلماته الروائع على لسان المعلم:

دَعها فليس لمسرى عاشقٍ أمدُ
طال السرى وحديثُ العاشقين غد
يا بعد ما تتمنى في ترَحلها
من ذا يكابد ما تهوى وما تجدُ
لطالما هتفت أعماقها ونأت
بها المنى كل منأى دونه الأبد
فكلما قربت من منهل هتفت
بها الضلوع لقاص آخرٍ يَرِدُ
حَتَّامَ يَنْهَبُها في دَرْبِها وَلَعٌ
وَما يلذُّ لَها مَغنى ولا بلَدٌ

أين من هذه الحيرة والتلهف والشوق المتطلع إلى ما لا نهاية ذلك الإيمان الهادئ القانع بمباشرة البرهان واستنطاق الدليل؟

وأين من فورة الشاعر وتفرد الإبداع في هذه الأبيات ما نراه هناك

من إيواء خاشع قانع إلى الرضا بما كان يحسبه غاية وليس بغاية، هكذا يرتقي السالك وقصيدُه في مدارج الكمالات، فيطلق نفسه وشعره من عقال العقل، ليغوص به وبتجربته في قَليب القلب، وتغدو التجربة الشعرية - كما ذكرنا - طبقاً للتجربة الروحية، ومصدقة لما بين يديها من عمق وصدق واستغراق.

تُرى هل يستطيع قارئ أشربَ في قلبه جمالَ العربية وأسرار مبانيها أن يتفلت من أسر الشعرية النافذة في كلمات خالد سعود الزيد التي ختم بها قصيدته عن الحلاج إذ يقول:

أفْتَيْتَني بكَ حتى لم أعدْ جَسَداً
وربَّ مُغتَبطٍ في جنة الجسدِ
وحسبُ مثلي إفرادٌ لسيده
فَلْيُصْعَقِ الطودُ ولْيَبْقَ الهوى مددي
خَلّفتُ هارون في قومي فما حفظوا
بيتي ولا صان قدسَ البيت من أحد
واستضعفوه وشادوا من حُلِيِّهِمُ
عِجلاً فكسّرتُ ألواحي ولم أعدِ

لا مَفرَّ لمن يردد في أعماقه هذه القوافي الحادة الآسرة من أن يستعيد الإنجاز الرائع لشعراء التصوف في عصوره المتعاقبة، ولا ريبَ أيضاً أنْ سيبدهه - مع ذلك - المذاق المتفرد لقصيد الزيد، وسيدرك حينئذ فرق ما بين الشاعريتين، تلك التي تعتصم بمقولات العقل، وتلك السابحة الغارقة في لجنة القلب، إنه فرق ما بين المنفوح والكادح، وبين المجدود والمحدود. وهنالك تتخذ التصدية والتداخل بين النصوص مساراً غير المسار، ووِجْهة غير الوجهة. ألق سمعك معي إلى أبياتِ للحلاج لتتحسس لحمة الصلات الواشجة بين الشاعرين والتجربتين، ولتلمس - في آن معاً - تفرد كل منهما برائع المذاق، في العبارة عن مواجيد العشاق، ففي هذا الاستدعاء ما يصل بك إلى أعلى ما بلغه فن خالد سعود الزيد من مدارج الشعرية، يقول الحلاج:

والله، لو حَلَفَ العُشّاق أنهمُ
موتى من الحب أو قتلى، لما حَنَثُوا
قوم إذا هُجروا من بعد ما وُصلُوا
ماتوا، وإن عاد وصل بعده بُعِثُوا
تَرى المحبين صرعى في ديارهمُ
كفتيةِ الكهفِ: لا يدرون كم لبثوا

وهكذا أضاف خالد سعود الزيد بإبداعه صفحة رائعة في سفْر العشق ضمن بها لشعره مكاناً في سفر الخلود.



الزمن والإبداع عند خالد سعود الزيد

بقلم: د. علي عاشور الجعفر

ثمة علاقة جامعة بين الشاعر والمؤرخ والسالك في طريق التصوف، تتوحد بها رؤيتهم للزمن، إنها النظرة التي يتطلعون بها إلى المستقبل وهم يمارسون فعل الكتابة، أو ينصهرون في بوتقة التجربة.

فالمؤرخ هو جزء من الحاضر الآني، يعيش حاضره على حين يعالج في مادته التاريخية فعلاً من أفعال الماضي، وفي كينونته تلك يتجادل الحاضر والماضي، فتطرح عليه الأحداث المواضي والهموم الحواضر من الأسئلة الملحاح ما يحمله على إرهاف النظرة المتأملة النافذة إلى جوهر ما يقوم به من عمل:

أتراه يعمد إلى أحداث التاريخ

فيجمع بينها كيف اتفق له الجمع؟ ويحكم فيها قانون التداعي المحكوم بمتوالية الزمن، والمطلق من قيود العلية والاستنباط؟ أم تراه يجعل من الهموم الحواضر مفتاحاً لمغاليق أسرار الماضي، ويتوسل بالماضي وحوادثه وأبطاله لتعقل الحاضر في حركة لائية لا تعرف السكون؟

إن المؤرخ الذي ينتهي إلى الصنف الأول هو محض مدون راصد، أما الذي يعتصم بالرؤية النافذة فلا يرى في تعقله للأحداث المواضي إلا وقود الانطلاق لصياغة المستقبل. وهو في هذا وذاك يظل بفكره وبصيرته ماثلاً في لحظة الآن من الزمان، ومحققاً لمجاز العبور في المكان في كينونة متصلة لا يحكمها قانون التداعي، بل تضبط حركتها سنن الفعل الإلهي والإنساني في الحياة، حتى لا انطقاع فيها بين ما كان وما يكون، إلا بمقدار ما تتفاعل السنن في لحظة الحضور البيني التي يعيشها المؤرخ عقلاً ووجداناً وبصيرة.

أثمة فرق إذن بين المؤرخ والشاعر في فعل العقل والقلب؟ أحسب أن الجواب لا يكون إلا بالسلب: فالشاعر الحق كالمؤرخ الحق يتجاوز ضيق اللحظة إلى امتداد الزمان، وتعين الموضع إلى رحابة المكان... وهو حين يقارب القصيدة إنما يمارس فعل التجاوز باللغة، ويصوغ من التشكلات الجمالية بديلاً مجازياً للغد.

وهنا نرى الوطن واللغة في حالة فريدة من التوحد والتماهي، فإذا الوطن قصيدة، والقصيدة وطن. في كليهما تتوارد الأشعة من الماضي والمستقبل لتجتمع في بؤرة الرؤية الحاضرة فتصاغ الحياة بالكلمات.

أما الصوفي، وما أدراك ما هو؟ إنه السالك الذاهب إلى ربه طلباً لهداية الروح «قال إني ذاهب إلى ربي سيهدن» وهو السالك الذي يرى الوقوف سقوطاً، ويرى في التلفت وراءه حاجزاً يعوق دون الوصول. فالنفس البشرية في مطلق أحوالها عنده أبداً لا تستكين، تتنزى بها مطايا الآلام والأحلام معاً وحين تسير به المسالك عبر ممالك التجربة، تزين له النفس أنه بلغ المراد، لكنه يدرك أن كل قمة هي منحدر إذا رنا لأعلاها، ومن هنا يصبح طلب الرفيق الأعلى في لا محدود خلق الله العظيم هو الغاية، ويكون القدوة في هذه الرحلة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان من قبل أحمد، وأتاها محمداً ليبعثه ربه فيه مقاماً محموداً، ويحقق فيه الآدم الذي خلقه الله على صورته. هكذا يصبح الزمن عند السالك لازمناً، وتتوحد في كيانه الأزمنة فيستيقن أنه وإن بدا جرماً صغيراً فإن في كينونته الفريدة ينطوي العالم الأكبر.

إن الزيد رحمه الله يطالعنا بوجه المؤرخ في موسوعته الأدبية (أدباء الكويت في قرنين)، وكانت فكرة الموسوعة تراوده بعد أن فرغ من كتابه عن الأمثال العامية في عام 1961، وصار الجزء الأول من هذه الموسوعة بين أيدي الناس بعد سنوات ست، قضاها باحثاً منقباً، وكأن في عودة الزيد للتاريخ في تلك

الحقبة نوعاً من التماهي بالوطن، وتصدية لاستقلاله في عام 1961، كان الاستقلال السياسي في حاجة إلى دعم من جوانب أخر من بينها الاستقلال الثقافي، وحين تجاوبت بعض الأصوات آنذاك لتنكر وجود أدب مؤسس في الكويت، ولترى في الوطن صحراء قاحلة من الفكر ـ كانت تجربة الزيد مع أدباء الكويت تحديا رصينا ومدروسا لتلك الأصوات، يمنح به وطنه استقلاله الثقافي، وما عاد التاريخ عنده سجلاً مصمتاً لأحوال الغابرين، بل صار الغابر حاضرا ومبشراً بالغد الآتي في ذلك السياق، وكان عمل الزيد ملهما لمن وراءه، ومنهلاً صافياً توارد عليه الظماء، فاستقوا وسقوا، وأنبتت لهم أرض الوطن من كل زوج بهيج.

أما صورة الشاعر المؤرخ فقد تجلت في أبهى مظاهرها حين نتأمل المرحلة التي عاشها الزيد إبان الغزو العراقي الصدامي البعثي للكويت في أغسطس 1990، وكان رحمه الله أحد المرابطين مع أسرته الكريمة في أثناء الاحتلال، وكان كدأبه يبعث الطمأنينة في من حوله في تفاؤل لا نجهل سره، فهو كان من في وعي الزيد بحركة التاريخ، وهو يتسلهم من تلك المرحلة وأحداثها العظام عددا من أجمل قصائده، يجلي لنا فيها قيمة الشهادة، متمثلاً إياها في من بذلوا دماءهم من أجل الوطن، ومصوراً إياهم في لقطات إنسانية مؤثرة، وتبقى قصيدته (من نافذة كاظمة) إحدى العلامات الكاشفة عن ذلك الوعي العميق بالتاريخ. يتأمل الزيد كاظمته من خلال مرآتها المصقولة، فيرى في عينيها دمعتين: دمعة تروي ما جرى لنوح وإبراهيم عليهما السلام في بلاد الرافدين، ثم يرصد مسيرة الرحلة جعد وابن سبأ ودورهما الأسود في حقبة مضت، إلى أن يصل في رحلة مجاوزة للزمان إلى لحظة الكتابة في إبريل من عام 1991، حين تحررت الكويت من رجس الطاغوت، لكن الطاغوت كان لايزال جاثماً على صدر شعبه، مكشراً عن أنياب الغدر لجيرانه، أما الدمعة الأخرى فهي بشير الفرح القادم عبر قوس قزح ليرسم بالألوان صورة المستقبل الواعد لشعب العراق وأمته العربية.

وانجاب الليل
بعينيك، رأيت الويل
شظايا تتطاير مثل جمالات صفر
غسلت ما بين النهرين
من العهر

هكذا امتزجت في عيني كاظمة دمعتان: دمعة سارية من الماضي، وأخرى تنبثق من مرارات الماضي الحاضر لتنثال في كينونة المستقبل. ثم يسقط تمثال بغداد في إبريل 2003، وكأن أيام إبريل بؤرة مجمعة تلتقي فيها متباينات الحوادث، لتسجل عبرة التاريخ، ولم يكن الزيد شاهد هذا الحدث، إذ غيب جسده الموت، ولكنه كان ببصيرة المؤرخ وعبقرية الشاعر وصفاء الصوفي أحد صناع هذه اللحظة الفريدة

ويتجلى المظهر الصوفي فيما أبدعه الشاعر في دواوينه الثلاثة التي

ظـهـرت مـجـتـمـعـة تحـمل عنوان (صلوات من كاظمة) في تلك القصائد تكشف صعوبة التجربة التي خاضها الزيد ومشقة الرحلة التي خالها قريبة المنال فـإذا هي بعيدة بعيدة، وكلما قـرب من منهل أخـذته الطرق لقـاص آخر يرد. وهكذا أصبحت رحلته قصة لكنها قصة لا نقرأ فيها إلا الظلال؛ تلك التي تأخذ صاحبها عبر ذاك المضـيق، تسري به مسافراً، وهو يستشرف في الآفاق خيطاً بارز القسمات من النور، حتى إذا ما ذاب في الأعلى رجع إلى أرض ذاته؛ ليكشف سر الولادة: وهي ولادة تبدأ بالإنسان وتنتهي فيه وليس للزمان فيها حد، الشوق هو سائقها، وإلقاء المرسى على شاطئ الأحلام هو رائدها ومتمناها.

صليني يا منى سفري
بأي غد بأي يد
بشيء ما ليوصلني
ويربط أمسي المحزون بالآتي
لعلي بعدها أصل

لعلك لحظت أن الزمن عند المؤرخ والشاعر والصوفي بالمعنى الحق زمن ذائب لا يعرف القسمة الثلاثية إلى ماض تولى، وحاضر ماثل، وغد مرتقب. ولقد كان خالد سعود الزيد واحداً من قلة وعت هذه الحقيقة، وكانت كتاباته التاريخية والشعرية وتجربته الصوفية شاهداً مصدقاً لما بين يديه من طاقة الإبداع الأصيل.

وبعد

فها هو ذا خالد سعود الزيد عبر رصده للحركة الفكرية في الكويت مؤرخاً، وإبداعه الرائع شاعراً، ورحلته إلى الله، وفي الله سالكاً، يعطينا درساً بليغاً، خالصه أن الإنسان كائن مستقبلي التوجه، وأن المستقبل هو الذي ينظم علاقته بالتاريخ وبالنفس كما يصوغ علاقته بالله، وهي علاقات، وإن بدت متباينة القسمات والملامح، مشدودة أبداً بعضها إلى بعض، ناطقة أبداً في صراحة المغزى وصدق النبرة بالدعوة إلى البناء.

اللغة و الثقافة عند خالد سعود الزيد

بقلم: د. ليلى السبعان

تمثل اللغة والثقافة مجموعة من القواعد والمعايير والمقومات التي تحدد هوية كاتبنا وشاعرنا وأديبنا خالد سعود الزيد، فله لغته الثقافية الغنية بالمفردات والتراكيب الخاصة به، والتي تمكن من تحديد مفرداتها ودلالاتها تحديداً دقيقاً في مجمل مؤلفاته بدءاً بكتابه «الأمثال العامية» سنة 1961م وحتى كتابه «صلوات من كاظمة» سنة 1993م، أو كتابه «عمانيات» سنة 2001م.

ولي أن أذكر بعضاً من آرائه وأقواله في مجالات كتاباته كافة، فعندما سئل عن التصوف وعلاقته بتجربته الشعرية، قال: كنت أجوب الطرقات بحثاً عن الحقيقة، ثم وجدت أن الحقيقة ليست خارجة عن ذات الإنسان، هي فيه وله ومنه، لذلك قال: الفلاسفة أعرف نفسك.. وجاء الصوفيون وأضافوا عبارة تعرف ربك، وقوله عن الحقيقة، أنها موجودة وقابعة في أرض الجسد الإنساني، والله هو الصدق.

وتجربة خالد الشعرية الصوفية غنية في معانيها، وهي امتداد للغته الثقافية التي كان سمة من سماته، وتميز خالد عن بقية أدباء وشعراء وكتاب الكويت.

وله قول آخر عن الغربة، يقول: عشت غربة روحية وجسدية قبل أن ترسو سفينة طوافي، فقد سافرت كثيراً في غربة الروح والجسد معاً، وجسدت هذه الغربة في قصيدة أطلقت عليها الغريب ونظمتها في سنة 1964م فيها الضلال والإيمان فيها سماء الروح وفيها أرض الجسد وفيها ما بين هذا وذاك حيث قال:

وسرت بغابة ظلماء لم أبصر سوى أشلاء أحلام ورائي من خليط الليل أشباح تروعني وقدامي شجون من شجون الأمس ملأى من جراحاتي دماء ملء راحاتي، وأقدامي.. إلخ.

وله شعر من الدعابة يستحق أن نذكر بعضاً منه فهو القائل:

أتيت صباحاً مرة عند يوسف
فجاء بكأس نشرها ليس يبرح
تكاد ترى من رقة الكأس والذي
حوته بأن الكأس تندى وتنضح
فقلت أشاي - ما أرى - أم سلافة
مزجت بها عطراً فهل أنت تمزح
فقال: معاذ الله شاي صنعته
أضفت له اللقاح فهو الملقح
فعللت نفسي منه كأساً وثانياً
فقمت كأني شارب أترنح
يخامرني شك بأن صديقنا
يغش إذا ما شاء يوماً وينضح

وله من هذا الغرض الشعري وهو الدعابة مع الزملاء نكهة خاصة يفيض وداً من خلالها.

وقد كان الاتجاه القومي في شعر خالد منذ البداية وحتى أواخر أيامه، فالقومية التي بدأت في شعره لم تكن وليدة لعوامل خارجية مرتبطة بالأحداث السياسية - وما أكثرها لوعة له - وإنما كانت وليدة التفاعل الدائم مع قضايا مجتمعه الصغير الكويت ومجتمعة الكبير الوطن العربي على امتداده، غذاها بالقراءة الواعية للتراث العربي، ولم تكن قومية مذهبية أو حزبية أو طائفية ولكنها استندت على مصدرين: القرآن الكريم، وسنة نبيه محمد عليه الصلوات، فالعروبة سمو في النفس والعقل والسلوك وهو القائل: أحب العرب لثلاث، أولها أني عربي، وثانيها القرآن عربي، وثالثها أن لغة أهل الجنة عربية.

ومن أشعاره في ذكر الرسول محمد صلوات الله عليه هذه الأبيات:

مثل قد تجسدا
وقديم تجددا
وجديد جذوره
ضاربات بلا مدا
أرضه وسماؤه
مثلما الصوت والصدى
ما ترى من تفاوت
مطلقا أو مقيدا
ليس شيء كمثله
جمع الحسن مفردا

ولخالد في السير نظماً مميزاً، ينتهج البساطة في التعبير ويؤرخ للحركة الأدبية والفكرية في الكويت عندما ألقى الأضواء على إنتاج وحياة خالد الفرج وهو من أعلام الفكر في الكويت رحم الله خالداً.

صفحة مضيئة في الأدب الكويتي

بقلم: ليلى محمد صالح

ندعوكم معنا في لمسة وفاء وامتنان، نوقد من خلالها الشموع بمناسبة الذكرى الثانية لرحيل المؤرخ الأديب خالد سعود الزيد.. نضع على ثراه الطيب باقات الزهور عرفاناً بإنسانيته.. وتقديراً لعطائه الأدبي الذي يعتبر ركناً أساسياً في بناء الأدب الكويتي.

في أكتوبر 2001.. فقدنا أحد أعمدة الحركة الأدبية والفكرية في الكويت.. وأبرز أركانها وسدنتها.. فقدنا خالد سعود الزيد فارساً من فرسان مسيرتنا الأدبية.. ونجماً شامخاً من نجوم الشعر الحديث. عرفت أستاذنا الأديب عن قرب.. فعرفت كيف تمتزج الأصول الطيبة بالصفات والخصال الطيبة.. لكنه الموت.. إنه الحقيقة الأزلية.. واليقين الأخير الذي لا يقين

سواه.. هو حقيقة الحياة المرة التي لا مفر منها ولا نقاش معها.

لقد سقط أديبنا من أغصان شجرة طيبة أصلها ثابت في تراب أرض الكويت وفرعها في السماء.. ونحن تحتها نستظل في خيمة الإيمان.. نستلهم حكمة الأيام في مشوار العمر والسنين.. لا نحصد من الدنيا إلا نتائج أعمالنا.

لقد فرد راحلنا شراعه ورحل إلى مثواه الأخير بعد أن ترك لنا ولطلاب العلم والأدب مدرسة في علم الدراسات الشعرية والأدبية والوثائق التاريخية.. سوف نظل من خلالها نتعلم ونتعلم.. قال تعالى: ﴿الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ عاش أديبنا حياته كلها بين الأقلام والكتب والأوراق فترك بصماته الكبيرة على مسيرة أدبنا الكويتي.. لم يبخل يوماً على أحد بمرجع أو كتاب أو تقديم أي معرفة، ذاب من أجل توضيح الحقائق للباحثين، ومن أجل أن يقدم عصارة فكره وتجاربه للأدب الكويت الذي كان رحمه الله أحد صناع تاريخه المضيء.

كان مؤسساً ورائداً ومؤرخاً ملء الأسماع.. عاش المعاناة مع الحرف والكلمة مضحياً بوقته وراحته ليقدم الوقائع والحقائق التي عاشها وتقلب في أوساطها وألف مناخها ومهد سبلها للباحثين من عشاق الأدب ليتيح لهم فرصة الاستزادة.. ويغنيهم عناء البحث في المراجع.

هو أحد المدارس الأدبية والشعرية في الكويت.. وإذا ما أراد أي باحث أن يغوص في سيرة الأدب الكويتي الحديث فلا بد أن يلجأ إلى الأديب خالد سعود الزيد الذي يعتبر رمزاً وسجلاً ومرجعاً مهماً.

أديبنا الكبير يعز علينا فراقك.. إنه غصة في القلب.. لكنه قضاء الله ولا راد لقضائه.. بمشيئته نأتي إلى الدنيا.. وبمشيئته نرحل. لن ننساك.. أيها الراحل الباقي.. خسارتنا فيك لا تعوض ولعل خسارة زوجتك ورفيقتك (أم سعود) أكبر وأعمق.. لكن أم سعود امرأة مؤمنة تعتصم بالإيمان والصبر محتسبة الأجر والثواب لأنك رحلت إلى دار البقاء عند رب رؤوف رحيم.

رحمك الله يا أبا سعود أديباً ومؤرخاً.. تزهو بك الكويت وأمتك.. وتزهو أسرتك باسمك.. لأهلك الثبات.. وعزاء تعجز عنه الكلمات لكريماتك (معارج) و(دلال) وأبنائك (سعود) و(وضاح) و(جاسم) وأهل الثقافة والفن والأدب في الكويت والوطن العربي.



خالد سعود الزيد

بقلم: فيصل سعود الزيد

في شـعـره يندفع الحـرف وراء أخيه، وفي نثره تتسابق الكلمات وراء شقيقاتها، وفي أحاديثه تنساب العلوم والمعارف وجذور التاريخ.

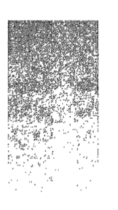
كرسيه مازال هنا في حديقة منزله ينتظر مريديه، الذين يتحلقون كل مساء ليروا في تضاريس وجهه تضاريس الكويت المتعبة بأهوال البحر، وبحرائق النفط، وبشاعة الغزو، وبقسوة المناخ، لينقل إليهم بدوره صورة متفائلة تشم من خلالها نسمات بحر القبلة، وعبير الوطية، لكي يعير هؤلاء نظرهم إلى وجهه ثانية ليبلغهم أن تفاءلوا فأنا معافى مثل كل مساء جديد معكم، وسؤالكم عني بعد سكوتي الطويل،

لأنني مـازلت أمـشط ضـفـائر الزمن لأرسـم لكم لوحة تبعث الدفء فيكم. ومـا عليكم إلا أن تلجـمـوا انفـعـال اشتياقكم لي.

وكـأني بخـالد يريد أن يقـول رفقـا بالكويت، لا غنى لكم عنهـا، لأنهـا شئتم أم أبيتم قد اخترقت صـحـراء قلوبكم، ولكنها سـتـخـرج خـضـراء يانعـة تمامـاً كـمـا هـو مـعناها في قاموسها العلمي الكويت هي الحياة.

كيف أقدم حكمتك هذه يا خالد لمن افتقدك، ويرى في ذكراك هذه الأيام سـيـرة قـد انطوت.. كـيف تنطوي والشطي والوقـيان والربعي والفيلي وعباس الحداد وعلي عاشور وعلي. السبتي وغيرهم كثير، كشفوا عن أصـالتـهـم وكـتـبـوا أفكارهم عنك، وتصدوا للضد ممن يحاول أن يقترب من منزلتك.

الكويت كما تراها يا خـالد بخـير، مـثل هذا المسـاء الذي مـازلت فـيـه متربعا على كرسيك وسأقول لأهل القبلة والصالحية وشرق والمرقاب كـان مـعنا هذا المسـاء خـالد سـعـود الزيد. وهل هناك فـرحـة أكـبـر من ذلك؟!



الزاهد في صغائر الدنيا

بقلم: سميرة اليعقوب

خالد سعود الزيد.. علم شامخ من أعلام الثقافة وقطب من أقطابها، وهو أحد الأعمدة الأساسية في صرح الحركة الأدبية الكويتية، ولا أعتقد أنني أكون مبالغة إذا قلت إن خالد سعود الزيد جزء من تاريخ الكويت، بل جزء مهم من هذا التاريخ. وهذه المكانة التي حظي بها - رحمه الله - لم تكن مستمدة من أنه كان شاعراً فذاً خلت له المساحة الأدبية وتفرد بها، فقد كان إلى

جانبه شعراء أغنوا الحركة الشعرية، ولهم مكانهم ومكانتهم وإسهاماتهم المشهود لها في هذا الحقل من الثقافة والمعرفة، بل استمدت مكانته من أنه كان شاعراً وأديباً ومؤرخاً وباحثاً، وكان في كل من هذه الجوانب مبدعاً ومتميزاً.

لقد كان الزيد شاعراً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ، شاعراً في موهبته وعمق فكره وإبداعه، شاعراً في روحه الصافية المتصوفة التي تسمو فوق الصغائر وتحلق في عالم الروح، شاعراً في عطائه الذي لا تحده حدود ولا تقيده قيود، شاعراً في إنسانيته وعذوبة أخلاقه وتواضعه وتعامله مع الناس، شاعراً فاضت قريحته بأجود الدواوين الشعرية من مثل «صلوات في معبد مهجور» الذي صدر في عام 1970، و«كلمات من ألواح» الذي صدر عام 1985، و«بين واديك والقرى» الذي صدر عام 1992.

ولقد ضحى الزيد بوقته وراحته ليقدم الوقائع والحقائق التي عاشها، بصدق وأمانة، ويمهد السبل أمام الدارسين والباحثين وعشاق الفكر والأدب، ويتيح لهم فرصة الاستزادة ويغنيهم عن عناء البحث والتنقيب في المراجع؛ فقدم عصارة عقله وخلاصة تجاربه يستقصي بدايات الأدب الكويتي، ويعرض نشأته الأولى، ويلاحق نموه، ويتتبع عوامل ازدهاره، حتى كان ثمرة كتابه الفريد «أدباء الكويت في قرنين» وهو وثيقة أدبية تؤرخ بدقة متناهية لأكثر من جيل من أدباء الكويت، وتكشف عن سعة اطلاع صاحبه وطول صبره وشغفه بالبحث والدراسة والتنقيب، وحرصه الشديد على الأمانة والدقة. وتؤكد هذه الموسوعة للمهتمين على امتداد الوطن العربي أن في الكويت شعراء أثروا الساحة الشعرية بالتجربة الصادقة المبدعة، والقيم الروحية والإنسانية، والمعاني الوطنية والقومية.. ولا يستطيع دارس أو باحث أن يغوص في مسيرة الأدب الكويتي، ويتفحص ملامحه، ويسبر أغواره دون أن تكون له وقفات طويلة ومتأنية مع هذا الكتاب يستمد منه الزاد الذي يعنيه في دراسته وبحثه، ولا شك أن الحظ يكون أوفر إذا ما تهيأت الفرصة للالتقاء بصاحب هذه الموسوعة الذي يعد سجلاً زاخراً بكل ما له صلة بتاريخ الحركة الأدبية الكويتية.

ولم يكن هذا الكتاب الجليل مؤلفه الوحيد، فقد صدر له العديد من المؤلفات التي تعد مراجع أساسية ومهمة في خدمة الحركة الثقافية في الكويت والخليج والوطن العربي.

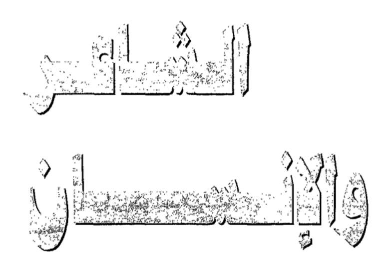
وقد نتساءل كيف تأتي لهذا الرجل أن يؤلف لهذا الكم من الكتب وفي ألوان شتى من المعارف في وقت لم تكن الثقافة ووسائل التثقيف في أوج ازدهارها وأحسن حالاتها، وأني أرى أن القدرة على مثل ذلك إنما هي - بالدرجة الأولى - عطاء من الله يتفضل به على بعض عباده، إضافة إلى الجد الذي أخذ الرجل به نفسه، وانصرافه الكامل

إلى البحث والدراسة، وشغفه بالاطلاع والثقافة، وحرصه على خدمة بله وأبناء بلده والأجيال من بعده بعيداً عن مظاهر الدنيا وضجيجها ومغرياتها الزائفة.

ونشاط خالد سعود الزيد - رحمه الله - لم يقتصر على المحلية، بل امتد إلى الآفاق العربية والدولية، وكان سفيراً للثقافة الكويتية والفكر الكويتي والشعر الكويتي في أكثر من بلد وقدم صورة مشرقة ومشرفة للإنسان الكويتي في أكثر من محفل.

لم يكن للدنيا مكان في قلب شاعرنا، ولم يحركه في يوم هوى، ولم يسعَ إلى منصب، وما عهد إليه من وظائف ومناصب قام بمسؤوليتها خير قيام، وغادرها بعد أن ترك فيها بصماه مبلغ بها مراحل متقدمة من الازدهار، وكان جديراً بالتكريم في حياته وجديراً بالتكريم بعد وفاته.

وسوى تبقى الأجيال على الدوام تذكر لهذا الرجل أياديه في خدمة الثقافة وأهلها، وإخلاصه وتفانيه لوطنه وأمته. رحم الله شاعرنا العظيم، وأسكنه فسيح جناته، وله الخلود بيننا بما تركه من شعر أصيل، وأثر واضح في مختلف صنوف الأدب والثقافة والفكر.



بقلم: د. هيفاء السنعوسي

رحل مؤرخ الأدب الكويتي الشاعر خالد الزيد منذ سنوات، ولكن ظلت ذكراه باقية بما خلفه من قصائد تجسد فيها حب الكويت. فاضت قريحته بالمشاعر الوطنية فتغنى بحب الكويت وحب أبنائها. شغلت قضايا الكويت المصيرية مساحة من تفكيره ومساحة كبيرة من شعره.

ظهر نبضه الوطني في دواوينه الشعرية التي تركها شاهداً على إبداعه وتميزه. وتجلت مقاومته الوجدانية والفكرية لمشاهد العنف التي تراءت فيها لقطة اغتيال الكويت

في لحظة غدر بقصائد رائعة عكست ملحمة وطنية كويتية فريدة من نوعها تعرض لنا لوحات مأساوية متنوعة تغلفت في صورة مشاهد قصصية إنسانية ترفض احتلال كيان الآخرين.

ولعل قراءة تأملية دقيقة لديوانه «بين واديك والقرى» تتكشف لنا تلك المشاعر الإنسانية الرقيقة التي احتوت الإنسان الكويتي في لحظة قاسية جدا مرت بها الكويت فترة احتلال النظام العراقي للكويت.

يقول الراحل خالد الزيد في قصيدته الرائعة التي ينفطر القلب عند قراءتها، والمعنونة «الشهيد س» والتي صور فيها مأساة الإنسان الكويتي الذي تعذب بعنف لم تشهده الإنسانية على يد أياد لا تعرف للرحمة معنى.

أتكلم أم أهرق دمعة حزن تتكلم
أأترجم إحساسي أم أرسم دمعة إحساس يتألم
لا أدري.. أتكلم أم أدنيك فما تتكلم
لن أنسى جرحك قد حدثني
وحديث الجرح النازف دم
عيناك المقلوعة
أذن مجدوعة
أواه وكي في الخاصرة المنزوعة
إن الأقدام لمخلوعة
طعنوا وجهك
يا وجهي
يا وجه أبي، وأخي، ابني
إني
أشهد ما لا يشهده
غيري
شاهدتك
شاهدت الضربة
إن الفأس سطا
في رأسك.. واصطفت
أسنان المنشار ومسمار في الكتف اليمنى
ومزعه مخ طاش
وأنفاس حرى
ما غير الأنفاس الحرى
وشخير يتصاعد من فم

وهكذا تكتوي مشاعرنا ألماً وحرقة بمشاهدة تلك اللقطة المزعجة التي نجح الشاعر الزيد - يرحمه الله - في نقلها لنا بالصوت والصورة. تلك اللقطة المصحوبة بأحاسيسه الذاتية والتي تولدت إثر مشاهدة هذه اللقطة المأساوية بما تضمه من وحشية رسمتها بعنف أياد الشر التي تفننت في تعذيب هذا الشاب الكويتي الذي كان فرداً من المقاومة الكويتية، تلك المقاومة التي تحدت جنود الاحتلال ورفضت الطاعة وأبت تسليم الكويت.

ماذا تبقى من هذا الشاب سوى صورة مشوهة لإنسان تعذب فلم نر سوى بقايا إنسان يظهر في صورة أنفاس محروقة تنتظر لحظة الصعود إلى العالم العلوي.

وتتفجر موجة الغضب والثورة على الواقع الأليم الذي فرضته أياد الغدر على الكويت، فتنطلق أسئلة استنكار ورفض لم تقو على الاختباء في نفس الشاعر بسبب مشاهدته لهذه اللقطة البشعة.. وها هو ذا يقول في مقطع شعري مؤثر.

هل أنتم بشر؟
أحجارة صوان أنتم؟

إن الصوان تفجر ماء
وتفجر صدركم غدراً حقداً
ماذا سماه الله
تعالى الله تقدس
يا نفث الغدر وصدر جهنم

ويواصل الشاعر الزيد استنكاره لأفعال جنود التعذيب الوحشية ورفضه قبولهم في عالم الإنسانية فيقول:

من أنتم؟
يا صورة ما قبل الإنسان تنفس
يا شيطان الشيطان وأنجس
يا موجة أحقاد التاريخ الملعون الملعون
تجمع في ملعونين

ويرجع الشاعر الزيد لتصوير المشهد المأساوي الذي تظهر فيه لقطة الشاب الكويتي الذي اقتسمت أدوات التعذيب أعضاء جسده، فلم تترك مكاناً إلا وانغرست فيه تاركة آثارها المروعة التي لا تقوى العين على رؤيتها. وترتعش أحاسيس الشاعر الإنسان خالد الزيد فيقول:

من حولي ينبئ أهلك
يشهد ما أشهد
يا أهل الخير
العينان
الأذنان
الخاصرة القدمان
ورأس بالمنشار وقد شق
وعظم الساق وقد دق
وماذا بعد!!
وتلفت
وعينا تنين ترقبني
وقرأت الفاتحة المرفوعة من أنفاسي
لله وللناس المنهوبين
لعلي أخلص من هم
وتوالى الهم

لقد كان الشاعر الراحل خالد الزيد يختلس النظرات من أجل معانقة آلام هذا الشاب الذي يبدو في صورة بقايا إنسان اختفت منه ملامح الحياة. فلم تكن هناك إشارة للحياة على جسد هذا الشاب سوى الأنفاس الحرى التي اكتوت بنار التعذيب الوحشية، والتي تعلن حالة احتضار ومرحلة نهائية للبقاء في الحياة. وتظل نظرات المراقبة والتجسس الاستخباراتي ترصد هذه النظرات الحنونة التي تنطلق من عيني الشاعر ومن قلبه.

ويبدو تأثر الشاعر بهذه اللقطة المأساوية المعبرة. وتأتي صورة محزنة أخرى نرى فيها لقطة الشاب الكويتي سالم الذي عُصبت عيناه، والعلج العراقي من ورائه. وفجأة تنطلق رصاصتان على مؤخرة رأسه فيخر على الأرض. وكانت أمه تنتظره وهو وحيدها، فأمر العلج العراقي أن يترك جثمانه.. وقال: (خلوه تشبع منه أمه).

يقول خالد الزيد - يرحمه الله - في رثائه للشاب الكويتي سالم الذي قُتل بوحشية هو الآخر.

مُعفّر الوجه نقي الإزار
أبكيك أم أبكي هوى الديار
واجهت زحف الموت لا خائفاً
فرداً وضيء الوجه مثل النهار
معصوبة عيناك ما شاهدت
مفجوعة أنهكها الانتظار
باحت بمكنون الهوى دمعة
من عينها أو قلبها المستطار

أفدي بنفسي دمعة حرّى
تضاءلت فيها النفوس الكبار
مازرر الثوب فأزراره
حبات رمل الأرض يوم الفخار
مستقبلاً سمعك ثغر الثرى
يا ثغر من يهواه ذاك العذار
توسّد اليمنى وفي رأسه
ثقبان كالشمعة نور ونار

وهكذا تتجلى صورة المعاناة التي تمثل في محورين إعدام الشاب سالم، مقتله أمام بيته برصاصتي غدر في مؤخرة رأسه ليخر صريع الواجب. وتنغرس اللوحة الإنسانية المحزنة في أذهاننا حينما نرى أمه تفجع بمقتل وحيدها.

وتنطلق صورة المقاومة الكويتية في لوحة بطولية جسدتها ابنة الكويت البارة أسرار القبندي التي تحدت الموت، وتخطت أسوار الخوف باحتمال أشد أنواع التعذيب في المعتقل. وتنطلق هذه الملحمة البطولية بقصيدة الشاعر المعنونة «الشهيدة أسرار»، يقول الزيد في وصف الوحشية في التعذيب التي خضع لها جسد أسرار.

أسرار وإن الحزن لأسرار،
من بالدار وما الدار؟
شكواك لأكبر من هذا الكون
تضاءل هذا الكون وقد باحت
عينك بالدمع تنادي
وترنم شاد من أقصى الكون
ومد اليمنى
وتناول دمعك باليمنى،
يا أهل الكون اغتسلوا بدموع
من رق منشور مسطورة
كيما تغتسلوا،
سأريكم آياتي فانتظروا

وينتقل الشاعر الزيد ليرسم لنا بأحاسيسه المرهفة لوحة محزنة تعتصر القلب، وتلهب المشاعر، وتذكر بلقطات محزنة عبرت بها الكويت نفقاً سياسياً مظلماً إبان احتلال النظام العراقي للكويت. فتتجلى صورة الوحشية بلقطة تعذيب مؤلمة وفجعة يظهر فيها جسد ابنة الكويت الخلصة أسرار التي رفضت أن تسمح للهمجية أن تمحو اسم الكويت من خارطة العالم. استنكرت بقوة بصوتها وبقلبها وبجسدها الذي كان مسرحاً لمشاهد التعذيب المروعة. يقول الشاعر الزيد:

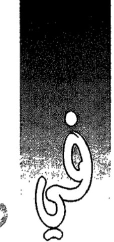
لا تقلع عينيها بالمقلاع
اقلع عينيها،
إقطع أذنيها
واخلع نعليها،
وانزع نهديها،
وابتر هذي الأضلاع.
فلقد سويت الصورة من قبل،
ولا تملك أن تمحوها
هي ذي عندي
تسجد تحت العرش أراها
تمسك قائمة العرش يداها
فاقلع عينيها
وابتر نهديها
واقطع أذنيها
سبقت من قبل لها الكلمة
خلعت نعليها
فإذا بالوادي
إني.. إني.. إني
ما يغني
صوت المذياع فلا تعتذروا
واطلعوا إن شئتم،

أمراً مقضياً بالمطلاع
هذي كاظمة الأوجاع
وقد باحت بالسر
أتعاد الكرة يا أسرار
وقد عادت لما باحت عينك بالدر
منثوراً لا سراً مطوياً
أمراً مقضياً
وترنم شاد من أقصى الكون
لا ظلم اليوم
وشهدت القوم،
صرعى
كالنخل
تهاوى جذعاً جذعاً
فليتذكر من شاء اليوم
إن الله أتى يسعى
ليقيم العدل ويرعى
مملكة الكون

وهكذا تصحبنا قصائده إلى عالم ملئ بالمشاعر الصاخبة التي تعلن عشقها للكويت ولأبناء الكويت في فترة عصيبة جداً مرت بها الكويت تحت وطأة نار حامية اشتعلت من وقود الحقد والغدر. فحاولت أن تطفئ ضوء الحرية على أرض الكويت، فتصدى لها الشاعر الزيد بقلبه عبر مشاعر دافئة وغاضبة وحزينة لا حدود لها. وظهرت في صورة قصائد معبرة تعكس حساً إنسانياً متميزاً جسد ملحمة وطنية تراءت فيها وجوه كويتية لمعت في ميدان الوطنية.

رحم الله شاعر الكويت وشاعر الإنسانية. رحم الله خالد سعود الزيد.. فقد كان دعامة أساسية من دعائم الأدب الكويتي، كما كان شيخ مؤرخي الأدب الكويتي ذلك الشيخ المتيقظ إحساساً بدفقات شعورية تتصل بوطنه الكويت. لم تتوقف تلك الدفقات إلا بتوقف نبض الحياة في جسده.

خالد الفرج



رؤيــــة

خالد سعود الزيد

بقلم: د. نسيمة الغيث

ثلاث مـرات توقف الشـاعـر خـالد سـعـود الزيد عند شـخـصـيـة الشـاعـر خـالد الفرج وفنه الشـعـري، وهذا في ذاته جـديـر بأن نتـأمله، لأن عـودة الشاعر إلى الموضوع نفسه مرة بعد أخرى لابد أن تحمل دلالات وتكشف عن منهج، وإلا فـهـو التكرار الذي لا غناء فيه... ونقرر منذ البداية أن خالد سعود الزيد لم يكرر ما سبق له قوله، ولم يكتشف جديداً في كل مرة، بقدر مـا توسـع في طرح القـديم، وهذا المسلك يدل على اسـتـقـرار مـوقـفـه، ورصانة رؤيته، وثبات رأيه، فالمبادئ هي بذاتهـا، ولكن البـرهـنة عليـهـا، والاستـشـهـاد والتمثيل لهـا هو الذي يتسـع حسب المصـادر المتـاحـة، فـلا مـهـرب من التسليم بأن وثائق الأدب الكويتي لم تكن ميسرة للباحثين، ولا كانت مـهيأة للقراء، فالمتوقع - والحالة هذه - أن الباحث في موضوع يتحرك منهجه بقدر ما بين يديه من نصوص هذا الموضـوع، وليس له من حيلة في هذا، ولكن التحدي الحقيقي يكون في

قدرة الباحث على إيفاء موضوع بحثه، والبلوغ به إلى غايات مقنعة وافية من الناحية المنهجية، حتى في نطاق هذا المدى المحدود المتاح من النصوص.

كانت الوقفة الأولى في شكل واتساع مقالة كتبها الزيد عن الفرج، ونشرتها مجلة العربي، مع استهلال عام 1965، وهذه المقالة ذاتها هي التي سيعيد خالد سعود الزيد نشرها ضمن كتابه: «أدباء الكويت في قرنين» - الجزء الأول الذي صدر عام 1967، وسنتوقف عند هذه المقالة باعتبارها حجر الزاوية بين الشاعرين: الشاعر الكاتب خالد سعود الزيد، والشاعر موضوع الكتابة خالد محمد الفرج، كما نشير إلى أن الزيد أضاف - وكما هو ديدنه في كتابه - عدة نصوص من شعر الفرج، ستكون لنا معها وقفة أيضا، لنرى إلى أي مدى يمكن - في هذا الخير المحدود - أن تكون الترجمة لشاعر وافية بأهم ما يحتاج القارئ أن يعرفه عن حياة هذا الشاعر وفنه.

سنلاحظ في تلك المقالة المبكرة أن الزيد، وهو يرصد حياة خالد الفرج يلتقط الأمور الجوهرية من جانب، ولا يغرق في التفاصيل غير المهمة من جانب آخر، ويحرص أيضا على ذكر الحقائق مع نسبة مقبولة من تجميل الواقع بما يحفظ للأدب رونقه، وللأديب كرامته، وفي هذا السياق ينثر الزيد أفكاره الثابتة، وعقيدته، لايزيف ولا يحمل على خالد الفرج مالم يكن، ولكنه يستدرج تداعيات الحديث بحيث يبدو الفرج في الدرجة الأعلى التي تليق بالشاعر كما يتصوره خالد سعود الزيد.

يذكر أولاً أن الفرج درس في الكتّاب، وهذا ابتداء مقبول مألوف كان يمكن أن يمضي بلا تعقيب، أو أن تكون الجملة التالية «كما كان يفعل أقرانه» وبخاصة أن الكتّاب درجة متواضعة جداً، فلا تعد ترفاً، ولا امتيازاً، ومع هذا يصف الزيد حقيقة الواقع الاجتماعي المتردي والفقير جداً في تلك الآونة، بأن يقول: «تهيأت له أسباب الدرس والتحصيل التي حرم منها أقرانه، فتلقى دروسه الأولى في الكتّاب» وإن التحليل الدلالي/ الاجتماعي لهذه العبارة الموجزة ليدل على جوانب اجتماعية وثقافية يمكن أن تنبسط على صفحة كاملة، وليس على سطر واحد كما رأينا

وفي الفقرة ذاتها يلتقط فعل المصادفة، وكيف يستثمره فعل الإرادة فقد تصادف في تلك الفترة أن فتحت المدرسة المباركية، فكان أن درس فيها خالد الفرج، وتفوق، وأنهى مرحلتها في نصف الزمن المقرر، حتى لقد نهض بجانب من التدريس وهو لايزال تلميذاً، وفي رحلة الفرج إلى الهند يلتقط ما هو حيوي وثقافي دون أن يضيع في أصقاع الهند المترامية، فخالد الفرج في بومبي: اشتغل كاتباً - تعلم اللغة الانجليزية - تعلم بعض اللغات الهندية - أسس مطبعة سماها المطبعة العمومية بهذا الإيجاز الحاسم تختزل السنوات والسياحات والمحاولات، فنعرف أهم ما ينبغي أن نعرف، بلغة

علمية دقيقة، وذهن يعرف كيف يرتب المعلومات ويعبر عنها بأقل لفظ. أما كيف، ولماذا انتقل الفرج للإقامة في البحرين فإن الزيد لا يترك أي عام كان له تأثير في هذه النقلة، ولو بفعل المصادفة، فقد ذهب إلى البحرين زائراً لقضاء بعض المهام، غير أنه رأى أن يتحول من زائر إلى مقيم.

إن تعبير الزيد هنا غاية في الرفق والذكاء والإنسانية، يقول عن الفرج إنه استضاف حمى البحرين وأغرم بها، فيبدأ بهذه العبارة التي تلمس الجانب المفتقد في بومبي، فهو في المدينة الهندية غريب، وهي بالنسبة إليه مدينة غريبة ليس فيها قومه، ولا الناس فيها على عقيدته، أو لغته، أو يتوحدون معه في مشاعره، من هنا كان «الحمى» و«الغرام» معاً، وليس أحدهما دون الآخر، ثم يأتي هذا التعبير الذي لا يخلو من مكر: «ولقد كانت حياة خالد الأدبية في البحرين غنية ثرة، لتوفر الحرية له، وانبساط باله هناك ، فشارك في مجال النهضة الفكرية بها، فإن ما وجده الفرج في البحرين، أما وفرته له الحياة في البحرين: الحرية والطمأنينية وراحة البال (أو ما عبر عنه بالانبساط) ليس مطلباً للفرج وحده، إنه مطلب لكل شاعر إذا أريد له أن يبدع، ولقد أبدع الفرج في البحرين وبدأ شعره يذيع في طول الخليج وعرضه. بعد قليل سيذكر قبيلة الدواسر التي كانت تحتل مركزاً مهماً في الشأن البحريني، ولكن الزيد الذي يفضل القومية، ويقدس الأمة العربية الواحدة، لا يتكئ بقوة على الانتماء القبلي، إنه لا يستطيع من حيث هو باحث موضوعي يلتزم بالمعلومات الصحيحة حتى، وإن خالفت هواه أو مبدأه - أن يتجاهل هذا الجانب في نفس خالد الفرج، وهو أنه تعرف إلى الدواسر في البحرين، ورأى فيهم قومه، وأن هذا مما شجعه على الاستمرار في سكن البحرين، ودفعه - فيما بعد - إلى مغادرتها حين غادرها الدواسر إلى الدمام عندما اضطربت علاقتهم بالإنجليز، الذين شددوا قبضتهم على البلاد. إن الزيد يذكر هذا كله، ولا يخفي منه شيئاً، ولكنه لا يعطيه إضاءة إضافية تبرزه، وتجمله، أو حتى تعلن عنه، وكذلك سنجد فيما يختار الزيد من شعر خالد الفرج يؤثر النصوص ذات المضمون القومي، ولا يقترب من مفاخرات القبائل وتغنيها بأمجادها، حتى لو كانت هذه الأمجاد حقيقة موثوقة، وسيكون خالد سعود الزيد على هذا القدر ذاته من الحرص على كرامة الأدب، وكرامة الأديب حين يعرض بأسوبه وصف علاقة خالد الفرج بالدولة السعودية الناشئة، والتحاقه بخدمتها، وإن سياق الأحداث ليدل على أن الشاعر بعد أن ضاقت به سبل الحياة في البحرين سافر إلى الكويت فلم يجد فرصة لحياة مريحة، في حين وجد هذه الفرصة عند الدولة الصاعدة على مقربة منه - في الدمام - فذهب، وقبل الوظيفة المعروضة أو التي سعى إليها، ولكن

الزيد وهو يعرض هذا يختار من العبارات ما يجعل خالد الفرج شخصية غير عادية (وهو كذلك بالطبع ولكن في مجال الشعر، وليس الوظائف المالية والإدارية) ويجعل منه خبرة مرغوباً فيها، بل يجعل الوزير السعودي هو الذي يلاحقه ويعرض عليه، وظاهر الأحداث يدل على العكس، لأن الفرج ذهب إلى الدمام بدعوة من موظف آخر، مهما ارتفعت درجته، فإنه ليس رب العمل، كما أننا نستطيع الآن أن نرى أن الفرج لم يكن مؤهلا لما أسند إليه من أعمال، ولكن كيف يقول خالد سعود الزيد هذا بلغته وبيانه ودورانه الطريف حول الحقائق التي لا يجد مفراً من تسجيلها، ولكنه يستل منها ما يمكن أن يجعل من الشاعر «موظفاً» يمكن أن ينجح في عمله فيبقى محتفظاً به، ويمكن أن يقصّر، فيستبدل به غيره ونتأمل كيف يرتب خالد سعود الزيد المعلومات ويمر بينها دون أن يصطدم بها، ففي هذا المجال يذكر أولاً أن السيد هاشم الرفاعي هو الذي عرض على الفرج أن يرحل معه إلى السعودية، ليعاونه في إدارة مالية القطيف، ثم «ما إن حل الدمام حتى تلقفه رجال ابن السعود وأخذوه إليه، فرحب به الملك عبد العزيز أطيب ترحيب، وأكرم وفادته، وولاه بلدية الاحساء، ثم بلدية القطيف.. ولقد ذاع له صيت عظيم في أقطار الجزيرة، فتقرب إليه الأدباء والشعراء وأصحاب الأمر فيها، وكان ممن تودد إليه ومال إلى صحبته الشيخ عبد الله بن سليمان وزير المالية، ولقد أغدق هذا الوزير على الشاعر مالاً كثيراً، وطلب منه أن يشرف على الإذاعة السعودية، فقام بتنسيقها والإشراف على برامجها، ثم عاد إلى إدارة دار بلدية القطيف، غير أنه تحت الإلحاح الشديد من قبل ابن سليمان أخذ يذيع من دار الإذاعة بعض المحاضرات، ثم استقال من منصب مدير بلدية القطيف، واستقر في مدينة الدمام، وأسس فيها مطبعة سماها المطبعة السعودية».

في هذه العبارة القصيرة نسبياً يجمل خالد سعود الزيد أحداثاً متداخلة ومهمة، وسنوات لم تكن قصيرة، كما يغفل - ربما عن عمد - أمرين مهمين: إذا كان الفرج قد ذهب إلى الدمام بعرض من السيد هاشم الرفاعي، فإنه لم يرد له ذكر بعد هذا، كأنه لم تكن بينهما مودة سابقة، ثم إن الزيد يسكت تماماً عن دور الشعر، شعر الفرج، الذي قاله في ابن سعود ودولته، وحروبه، وانتصاراته، وهو شعر سجله الزيد حين نشر الديوان الكامل لخالد الفرج بجزأيه، سنة 1989، وافتتح بهذه القصائد (السعودية) الكتاب، وهي تشكل في حجمه ومادته قدراً جليلاً ومهماً، إن خالد سعود الزيد «لا يريد» للفرج أن يكون قد تكسب بشعره، ولا يريد أن يقول صراحة إن خالد الفرج نال رضاء ابن سعود وعطفه بما قال فيه من شعر، وهذا أمر طيب ولا مأخذ عليه أو فيه، ولكن خالد سعود الزيد، بعد أربعين سنة من هذه الأحداث،

واختلاف الزمان، واختلاف الحكم الأخلاقي والفني على المدائح حتى لو كانت صادقة، عمل على استبعاد ما يمكن تأويله، وتعلق بشخص الوزير عبد الله بن سليمان، فجعل إليه الأمر، بل جعله هو الذي يتعلق بالشاعر «تحت الإلحاح الشديد» إلخ... وهكذا يجب أن يكون الشعر مطلوباً، وليس طالباً، وأن يكون الشاعر موضع إلحاح من الوزير وليس العكس، غير أن حقائق الأمور تفرض نفسها لا محالة، فبعد تغيير «الوظيفة» ثلاث مرات بما يشعر بالقلق، هجرها تماماً، وعاد إلى صناعته التي بدأها في بومبي: صاحب مطبعة!!

هذه إذن طريقة خالد سعود الزيد في أول ترجمة كتبها لحياة خالد الفرج في حجم مقالة، وهي تكشف عن طريقة تفكيره، وحساسيته الشديدة بالنسبة للشعر، ومكانة الشاعر. وسنجده - عقب هذا - يهتم بالفن الشعري عند الفرج، فيبدأ بتحديد ملامح أسلوبه، ويرصد الأسلوب من زاوية المتلقي، وهذه طريقة النقد الذوقي، والانطباعي، ولكنه - قبل زمن الأسلوبية - يبدأ بالملاح شديدة الوضوح التي تسيطر على التفاصيل وتتسرب في مختلف الأساليب، فيقول: «لخالد الفرج أسلوب خاص في عرض المشاكل الاجتماعية، وطريقة فريدة في تصوير الواقع تصويراً ساخراً ساحراً يأسر السمع، ويستحوذ على الأفئدة، ويمتع الألباب بالمشاهد الحية الصادقة، التي قل أن يوفق إلى تصويرها فنان» الركائز المتضمنة في هذا التصوير النقدي تقول:

1- خالد الفرج شاعر اجتماعي، لا يعبر عن ذاته الفردية بقدر ما يعبر عن مشاكل الناس.

2- خالد الفرج أهم ما يميز أسلوبه طريقته الخاصة، الساخرة، الكاريكاتورية في التصوير.

3- خالد الفرج شعره شعر إلقاء وسماع، لأنه يركز على مخاطبة الحواس ويستولي عليها.

إنني أرجح أننا - وبعد أربعين عاماً تفصل بيننا وبين مقالة خالد سعود الزيد عن فن الشاعر خالد الفرج - قد نجد صعوبة في زيادة عنصر رابع إلى العناصر الثلاثة المذكورة.

قد نتوسع، أو نفصل، أو نبرهن، أو نفلسف، أو نحصر المعنى بالمصطلح، ولكن ستبقى خصوصية شعر الفرج قائمة في هذه الثلاثة: أنه شاعر اجتماعي، قادر على التصوير الكاريكاتوري، وأنه بهذا التصوير، وبالايقاع يخاطب الحواس فيستولي على الألباب!!

بعد هذا العرض الشائق المميز، الموجز لحياة خالد الفرج وخصوصية فنه الشعري، كما يراه خالد سعود الزيد، يختم الترجمة في كتابه، بما لم تتسع له مقالته، وهو تقديم عدد قليل من القصائد يراعي فيه أن يكون وافياً ومحيطاً بالجوانب المميزة لهذا الشاعر من الناحية الموضوعية، ومن ناحية الأسلوب كذلك.

وقد اختار الزيد من شعر الفرج سبعة نصوص عناوينها:

1- قصة مبتورة

2- الجموع المتصارعة لأجل

الوصول إلى ماء الشرب الذي تنقله السفن من شط العرب

3ـ إلى شاعر الكويت صقر الشبيب

4ـ في الزعيم التونسي الكبير

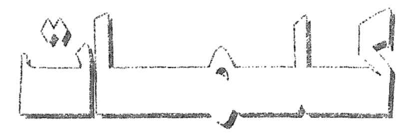
5ـ يرثي الشيخ عبد الله الخلف

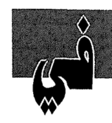
6ـ قبرة الرهط

7ـ إليك يا عيد.

هنا ما أثره خالد سعود الزيد من شعر خالد الفرج، ولا ندعي أن هذه القصائد السبع هي «كل» ما كان لدى الباحث من شعر خالد الفرج، فبعد صدور أدباء الكويت في قرنين، بعامين فقط، أي في عام 1969 صدر الكتاب الاول الذي خصصه الزيد للفرج، وهو كتاب: «خالد الفرج حياته وآثاره» فهذه الآثار كانت موجودة، وكان الجزء الأول من ديوان الفرج نفسه قد نشر من دمشق قبل ذلك، كما أن الزيد يذكر في مقدمة كتابه «ديوان خالد الفرج» أن الجزء المخطوط الذي أضافه لما سبق له نشره كان في حوزته مخطوطاً، وخلاصة هذا كله أن مساحة الاختيار كانت اسعة، وأن الشاعر خالد سعود الزيد بتفضيل هذه النصوص السبعة يكون قد رأى فيها أنها الأكثر نضجاً، وأنها الأدق تمثيلا لفن الشاعر في أعلى مستوياته، وأعتقد أنه محق في هذا ، ويمكن أن تقرأ هذه النصوص قراءة أفقية، لنرى أن الطابع السردي (القصصي) يسيطر على أكثرها، إن لم يكن جميعها، والقصيدتان الأولى والثانية سردتيان استوفتا شروط النص السردي، فالقصة المبتورة هي قصة كاملة، وإنما جاء البتر من ناحية أن ديوان الشاعر قد انفرد بختام الحكاية معلناً عن بؤس الشعراء أما تلك اللوحة النادرة التي تصور الصراع للحصول على ماء الشرب فإنها فريدة في بابها، وحقاً.. على كثرة ما عانى أهل الكويت من ندرة الماء العذب، وما لا قوا من أهوال في سبيله لانجد له مكاناً واضحاً في الشعر، فجاء الفرج وسد هذه الثغرة بهذا النص الفريد.. ولقد كان تصرفاً لبقا من الزيد أن سكت عن مدح الملوك ـ مع كثرته وتداخله مع طموحات الشاعر السياسية ـ وقدم مدح الزعيم التونسي الثعالبي، لأنه مدح في سبيل العروبة، ولوجه القومية، وبحق الضيافة والتحية، وليس لغرض آخر ثم نجد نصين حواريين أحدهما خطاب للشبيب، والآخر رثاء للخلف، والشكل الحواري الخارجي: الديالوج، أو الداخلي: المونولوج ـ كان حينها جديداً على القصيدة العربية، فدل اختيار الزيد لهاتين القصيدتين على فطنة في تمييز جوانب التجديد المبكرة في ذلك الحين، ثم إن الشبيب، والخلف من الأسماء التي تفخر بها الكويت، وتعدها من مناراتها، فكان ضرورياً أن يسجل خالد سعود الزيد هذا الركن الكويتي الأساسي في انتساب الشاعر من خلال علاقاته الفكرية والفنية

أما الأسلوب الكاريكاتوري الذي أشرنا إليه من قبل فإنه واضح تماماً في «قبرة الرهط» ممزوجاً بروح التهكم الذي برع فيه خالد الفرج، وتميزت به لوحاته الشعرية، وبهذا الانتقاء يكون الزيد قد قدم الدليل على استكمال عدة الباحث في الأدب، كما قدم الدليل على بصيرة الشاعر الفنان.





فارس ترجل

بقلم: علي حسين الراشد

تمر على الإنسان عبر رحلة الحياة شخصيات تؤثر فيه اما سلباً أو إيجاباً وتترك في نفسه بصمات واضحة في تكوين شخصيته وثقافته، وقد كان الراحل الكبير الأستاذ خالد سعود الزيد واحداً من تلك الشخصيات التي تركت في نفسي أثراً طيبا لا يمكن نسيانه أو محوه من الذاكرة. فحين تعود بي الذكرى إلى سنوات خلت هي سنوات الدراسة في الجامعة أتذكر تلك الشخصية الجالسة على منصة مسرح الجامعة في الخالدية، وهو يلقي أشعاره بصوته المميز الذي يدخل إلى القلوب فتستجيب ويجعلك تحلق مع القصيدة والإلقاء معاً، تلك كانت أول اللقاءات عن بعد ثم توالت اللقاءات عن بعد مرة في محاضرة عن الأدب الكويتي ومرة

أخرى قراءات شعرية مختارة لشعراء كويتيين.

مرت السنوات، وأنا أتابع هذا الشامخ، الذي قال عنه يوماً المستشرق الروسي فلاديمير شاغال على أمثاله قام الأدب الروسي، وهو يثري المكتبة الكويتية والعربية بكتبه ومؤلفاته، حتى جاء اليوم الذي قابلته فيه عن قرب عندما دخلت الرابطة فلقيته وجهاً لوجه وصافحته بحرارة وجلست أستمع إليه بشغف فحديثه لا يمل وتوالت الجلسات في الرابطة، وأنا أستمع إليه وأنصت استماع التلميذ لأستاذه الجليل، ثم دعاني لزيارته في بيته فذهبت إليه فرأيته جالساً في مكتبته العامرة الزاخرة بشتى صنوف المعرفة فتحادثنا عن شؤون الأدب والشعر، ثم توالت زياراتي له حتى امتدت سنوات من العمر أو بمعنى آخر هي العمر كله حتى رحل عن هذه الأرض يوم الجمعة 12/10/2001 فانقطع بذلك ما كان متصلاً من لقاء.

كان خالد سعود الزيد من ألمع الشخصيات الثقافية التي وضعت أسس الثقافة في البلاد وأثري بمؤلفاته المكتبة الكويتية والعربية وأصبحت كتبه مراجعا للباحثين والدراسين وهو صاحب أوليات فهو:-

● أول من كتب في الأمثال المحلية ومقارنتها بالأمثال العربية «من الأمثال العامية سنة 1961.

● أول من وضع فهارس لمكتبه الخاصة وبين ما فيها من مخطوطات ومؤلفات بالرغم من وجود مكتبات خاصة لكثير من الكويتيين لكنهم لم يفهرسوها.

● أول من استخرج مادة تاريخ الكويت من كتاب لوريمر «دليل الخليج» وقدمها للقراء محققة ومشرحة ثم توالت من بعده دول المنطقة باستخراج ما يخصها من هذا الكتاب البريطاني الذي كان في الأساس تقارير عن المنطقة قدمت للحكومة البريطانية.

● أول من وضع كتاباً مستقلاً موثقاً عن الحركة المسرحية في الكويت «مقالات ووثائق عن المسرح في الكويت» سنة 1983

● أول من كتب عن شخصية كويتية كتاباً مستقلا هي شخصية الشاعر خالد الفرج.

اهتم خالد سعود الزيد بتاريخ الكويت اهتماماً كبيراً ومثلما بحث عن هذا التاريخ في بطون الكتب وأمهات المراجع والنصوص فإنه بحث عنه أيضا في باطن الأرض أرض الكويت فخرج إلى الصحراء يبحث عنه فوجده في الصبية، الأرض التي تغنى بها الشعراء وكتب عنها الأدباء في عصور مختلفة فخرج بنتيجة أن هذه الأرض كانت مأهولة بالسكان، فحين جهر بهذا الرأي، وذلك سنه 1980 لم يصغ إليه أحد، ولم يؤخذ كلامه مأخذ الجد فآثر الصمت عن هذا الموضوع، حتى عام 1999 حين جاءت إحدى البعثات الأجنبية للبحث عن مواقع أثريه في هذه المنطقة فأكدت ما قاله الأستاذ خالد

سعود الزيد منذ سنوات فأصبح بهذا هو صاحب الحق في هذا الكشف العلمي.

كثيراً ما كنت أراه وهو منكباً على أوراقه وكتبه وهو يبحث وينقب حتى يقدم للناس علماً نافعاً، رأيته يوماً يقلب مخطوطاً جميل الشكل والخط فسألته عنه فقال هذا مخطوط الشجرة المحمدية «للجواني وأني أفكر في نشره، فطلب مني مشاركته في فهرسة الكتاب وبدأت أقرا الكتاب وشدني ما فيه جمال الخطوط والألوان وساهمت معه ما وسعني الجهد، وقد ذكر هو ذلك مشكوراً في مقدمته لهذا الكتاب.

في أثناء الزيارات التقيت بأصدقاء وأحباب شاركوني حب وتقدير خالد سعود الزيد وكانوا دائمي الحضور والإنصات لحديثه ومشاركته الحديث، سألنا يوماً عن مجالس ثعلب وآمالي أبي على القالي وأمالي إبن الشجري كيف كانت؟ فقال إنها مثل مجلسنا هذا، نعم فقد كان مجلسه مجلس علم وأدب.

كان القرآن هو كتابه المفضل الذي لا يعد له كتاب يحتضنه في كل يوم وأخبرني يوماً أنه كلما ضاق صدره أو ضاقت به الدنيا قرأ القرآن فيحس براحة كبيرة وتصبح أي مصيبة مهما كبرت صغيرة أمام آيات الكتاب الكريم ولهذا أثر القرآن في لغته وشاعريته.

مهما سطرت من كلمات في حق أستاذي ومعلمي فإني لن أوفيه حقه فهو أكبر من كل الكلمات، فإنه الفارس الذي رحل عن صهوة الكلمة.

رحمك الله يا أبا سعود رحمة واسعة وجعل الجنة مثواك، ولله الحمد في الأولى والآخرة.

أبعاد الحيرة
والتأمل في ديوان
«صلوات في معبد مهجور»

بقلم: فاروق شوشة

في صيف العام 1963م زار الأستاذ الإذاعي فاروق شوشة الكويت بعد أن أمضى خمس سنوات مذيعاً في الإذاعة المصرية، ومقدماً للبرامج الأدبية والثقافية، وقد جاء إلى الكويت بطلب من وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية (وزارة الإعلام حالياً) وذلك على سبيل الإعارة للعمل في إذاعة الكويت.

وصل الأستاذ فاروق شوشة إلى الكويت في أكتوبر من العام 1963م، وقضى عاماً واحداً في الكويت، وتعرف في تلك الفترة على نخبة من شباب الكويت ومثقفيها وأدبائها، ولفت انتباهه تجربة ثلاثة من شعراء الكويت كان لكل واحد منهم صوته الشعري الخاص، وتجربته الخاصة التي تتقاطع مع الأخرى ولكنها تحرص على المحافظة على خصوصيتها وممارستها الفنية، وذلك على الرغم من حداثة تلك الأصوات الشعرية وعدم تصديرها إلى دواوين شعرية في حينها.

وقد كتب عن تلك الأصوات

الشعرية الثلاثة وهم:
علي السبتي، ومحمد الفايز، وخالد سعود الزيد.

ونشرت البيان في عددها رقم (62) في مايو 1971م مقالاً للأستاذ فاروق شوشة بعنوان «أبعاد الحيرة والتأمل في ديوان صلوات في معبد مهجور» وهو الديوان الأول الذي يصدر للشاعر خالد سعود الزيد - رحمه الله - في العام 1970م.

إن هذه القراءة الشعرية من شاعر مثقف من مثل فاروق شوشة، لشاعر صوفي سالك له ثقافته الخاصة تراثياً وحداثياً من مثل خالد سعود الزيد، والبيان تعيد نشر هذه القراءة في عددها الخاص عن الزيد تكريماً للرجلين وتقديراً لهما.

ع. ي. الحداد

نص المقالة:

كلمة لا بد منها:

هذه هي الحلقة الثانية في سلسلة مقالات متتابعة، تحاول رصد الواقع الشعري لجيل الشعراء الشباب في الكويت من خلال ثلاثة من أبرز نماذجه: علي السبتي وخالد سعود الزيد ومحمد الفايز، ولا تزعم هذه المقالات لنفسها أكثر من حجمها الطبيعي، وهي أنها محاولة للاقتراب من العالم الشعري لهؤلاء الشعراء الثلاثة، الذين ينتسبون - زمناً - إلى جيل واحد وأعمار متقاربة.. لكنهم في حقيقة معاناتهم الفنية والشعرية، وفي حقيقة ما يمثلونه من قيم شعورية وتعبيرية لا يخضعون إلى ملامح واحدة، أو سمات متشابهة، فلكل منهم مذاقه الشعري الخاص، وحدود عالمه وتخومه، وطبيعة انتمائه أو لا انتمائه إلى بيئته ومجتمعه، فضلاً عن اختلافهم - بنسب متفاوتة - في طبيعة تمثلهم لحقيقة التراث العربي من ناحية، وتجربة الانفتاح على آفاق المعاصرة من ناحية أخرى.

ولست أريد أن استبق منطق الأشياء، لأدلي من الآن بأحكام قاطعة جاهزة، أو تصنيفات نقدية حاسمة، فذلك - رغم جدواه وفائدته - ليس غايتي الآن. وقصارى الجهد أن ترسم هذه المقالات رحلة متذوقة متأنية، لا تتعرف على حقيقة هذا الواقع الشعري، محاولة فهمه أولاً، وتفسيره ثانياً، ورصد أبرز ظواهره واتجاهاته أخيراً.. من خلال ربطه بواقع الحركة الشعرية في الكويت، وواقع الحركة الشعرية في الوطن العربي كله.

هي إذن رحلة شائقة وفريدة، تلك التي تفتح أمام عيوننا هذه العوالم الشعرية السحرية لشعراء الشباب في الكويت، وتضع أيدينا على نبض قلوبهم وهمس أعماقهم، مشاركين في قافلة الشعر العربي بحداء صادق أصيل.

ولنتابع الآن رحلة الفهم والتذوق مع ديوان «صلوات في معبد مهجور».

بقدر ما يقرع آذاننا إيقاع الغربة والاغتراب في ديوان علي السبتي «بيت من نجوم الصيف»، فإن ديوان «صلوات في معبد مهجور» لخالد سعود الزيد يفضي بنا إلى عالم آخر تماماً هو عالم الحيرة والتأمل. وبالرغم من أن «الأرض الخراب» في ديوان علي السبتي تستحيل إلى رمز

متجسد، يعكس الشاعر من خلاله موقفاً واتجاهاً وتمرداً، ويتمثل من خلاله تجربة حبه وتجربة وجوده معاً، إلا أن «المعبد المهجور» - وهو صنو «الأرض الخراب» من حيث الشكل - يتخذ في شعر خالد سعود الزيد معنى آخر ويعكس بالتالي تمثلاً آخر لواقع تجربة الشاعر يختلف كل الاختلاف عن واقع «الأرض الخراب». فالمعبد المهجور هنا، ما تزال تدوي في أرجاء هيكله صلوات خافتة تبكي الحب الحزين وتغني للغربة وتستسلم للشجون وتتأمل الطبيعة والحياة والناس، وتصفق للقلب العائد، وتتمنى الخلاص من أسر الجسد لتخلق في شفافية آسرة إلى آفاق الروح والملأ الأعلى.. ويبقى المعبد المهجور، رمزاً غائباً - لا تشير إليه قصيدة بذاتها من بين قصائد الديوان - لحبٍّ ضائع، لمحاولة التملص والانسلاخ من ترابية الأرض والإنسان إلى صفاء العوالم الروحية المترعة بنقاء السريرة وطهر الجوهر وخلود القيم الرفيعة.

من البداية، ومن خلال السطور الأولى، يضع الشاعر أيدينا على مفتاح هذا العالم الذي يضم كنوز تجاربه، ومخزون خواطره، وأشجانه، وسرعان ما نتعرف على الخطوط الأولى التي تنساب فيها فرشاته:

وقفتُ مبهور الرؤى حائراً
كحيرة المحزون في كَرْبه
أُقَلِّبُ الطرفَ بلا آخر
أجوب هذا الشرق مع غربه
أبحث عن ذي خبرة عالم
يكشف لي المكنون من غيبه

هذه العين الفاحصة المتأملة هي عين شاعرنا في كل تجاربه ومواقفه، وهذا المنطق الرصين الهادئ النبرات هو منطق شاعرنا في حواره الدائب مع الكائنات الموجودات ومع نفسه أيضاً، في لحظات الخلوة والصفاء.. هذا التأمل، وهذا المنطق الرصين، ينسكبان دوماً من خلال قدرة فائقة على التصوير والتعبير بالألوان بالظلال.. تبلغ مداها في قصيدته عن «الزبداني» حيث يرسم الشاعر صورة بالغة الفتنة للطبيعة، لا يعجزه لون ولا تفوته خلجة ولا يخطئ تعاقب الألوان والظلال، وهو يمزج هذا كله بذوب قلبه، ويطرح من خلاله جميعه قضية الخلق والخالق، وحقيقة المبدع العظيم لكل هذا الكون، حتى ليتصور المرء - في لحظة من لحظات الاستغراق الشعري - أن الشاعر والطبيعة قد تمازجا وتداخلا، وحدث بينهما ما يشبه الحلول عند الصوفية عندما تلتحم النفس العاشقة بالمعشوق الأعلى وتغنى فيه..

تالله ما هذا الجماد بساكن
فانظر إليه تجده ذا خفقان
وأجل فؤادك في الوجود محققاً
تلق المهيمن قائماً كعيان
آمنت بالله العظيم، بصنعه
بخفائه عن مرصد الأجفان
لكنما هو في الحقيقة قائم
في العقل، في الأعماق، في الوجدان

أهي بذور «تصوف» يخفيها وجدان هذا الشاعر، شاعر القلق والحيرة والتأمل، يطول بها الرسو في قرار النفس وقاع الذات، فتفصح عن نفسها - بين الحين والحين - من خلال

قصائده، الوصفية والعاطفية ولتضفي على مرآته الشعرية هذا الألق الآخاذ، يشدنا شداً إلى آفاق بعيدة مجهولة، ويثري متابعنا لرحلة الشاعر مع الفن والحياة؟

تساؤل يطرح نفسه بإلحاح ونحن نتجول خلال ساحات المعبد المهجور.. وإلا، فكيف تنبجس ينابيع هذه «الخمرية» السافرة، عن لمحة صوفية مفاجئة، فإذا بها تكشف عن خبيئة هذا الفنان الذي ظنناه - لأول وهلة - «نواسياً» في مستهل خمريته:

هات الشمول وقرب الأقداحا
فالشعر هبَّ منَ الرُّبى فواحا
واملأ كؤوسي من عصارة خاطري
فلقد سكبتُ من الحشاشة راحا

هذا الذي تظنه «نواسياً» عربيَداً في مستهل هذه القصيدة، سرعان ما يتكشف لنا عن صوفي يتخفى في ثياب «ابن عربي» وقناع «رابعة»:

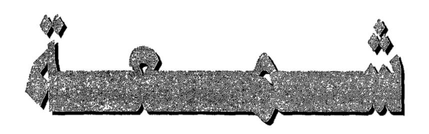
حَلَّقْتُ من طرب وهمتُ بخاطري
وطفقت أضربُ في الرؤى سباحا
أرنوُ الوجودَ ولا وجود بناظري
فأذوبُ فيه فينجلي لمَّاحا
لولا بقية نزعة جسدية
لبقيتُ منساباً به منساحا

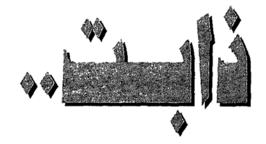
وتبقى في النفس أصداء هذا النغم الصوفي، مختلقة بسواها من الأنغام التي يعزفها الشاعر، أنغام الغربة والحنين والقلق والحيرة والتأمل، هذا العالم المختلط الأنغام والألحان.. عالم شاعر، وهذا التيه الذي يتخبط فيه الشاعر آناً بحثاً عن الحقيقة الكامنة وراء الأشياء، والذي يتجلى فيه صفاء بصيرته ونفاذ رؤيته للظواهر هو مصدر خصوبة هذا العالم ومصدر حيويته أيضاً..

ما له من وجود غير جسم
سيواريه بعده المجهول
وسيمضي إلى الفضاء بعيداً
ربما كان في القضاء «الحلول»
وانفتاح لقلب كل غريب
ضامه الدهر والأماني طلول

هذا هو الشاعر كما رسمه بريشته وقلمه.. في صورة وصفية تشف عن حقيقة هذا المعنى الصوفي.. وليس صدفة مجيء هذه الكلمة الصوفية «الحلول» في ختام البيت الثاني.. سواء كان هذا هو ما هدف إليه الشاعر أو لم يكن.. فالحقيقة الواضحة البسيطة - في قصاد هذا الديوان - أن ثمة تياراً متأملاً ميتافيزيقياً يفرض نفسه على الشاعر وعلى القراء، ويتنفس هامساً مرة، جهيراً أخرى - بحسب اتساع المقام أو ضيق ذات اليد - صحيح أن الشاعر يتخفى هنا في ثنايا هذه اللوحة الشعرية الآسرة التي يسميها «الغريب» غير أننا لا نحتاج إلى كبير عناء لندرك أن الشاعر يتحدث - بالدرجة الأولى - عن هواجس ذاته وحقيقة عبوره للحياة، بل هو يكشف عن قلبه تلك الورقة الخضراء التي تخفي قصة حبه المدبر، ولوعة فراق الحبيب:

لا تلم قلبه إذا ذاب وجداً
ففراق الحَبيب أمر مهول
إن يوماً كآلف يوم إذا ما
حال من دون من يحب السبيل
كيف والحال كربة واغتراب
وزمان على الكرامِ بخيل
وشباب قد ضاع وسط ضَباب
في أمانٍ في وعدها التضليل





ولم تنطفئ

بقلم: سعدية مفرح

للشاعر أحيانا صوته الخاص، وله بالضرورة، صوته المميز، لكن بصمة الصوت لا يمكن أن تكون بفرادتها المستحيلة إلا للكبار.. ولعل خالد سعود الزيد واحدا منهم.

لقد رحل هذا الشاعر الكبير، لكن صوته المجلل سيظل دائما يسكن في أعماق الذائقة الشعرية المعاصرة عبر نوع خاص من القصيد الذي برع بأدائه على المنبر الشاعر المعلم، كما يحلو لنا أن نسميه في الكويت، ومن

داليته الشهيرة في مدح الرسول يرشح الكثير من تجليات ذلك القصيد المهيب.

وقد دأب الزيد في سنواته الأخيرة على الإصرار على إلقاء تلك القصيدة ختاما لكل أمسية شعرية يشارك في إحيائها، ومازلت أذكر تفاصيل إحدى الأمسيات الشعرية التي شاركت فيها معه ومعه مجموعة أخرى من الشعراء في إطار دورة من دورات مهرجان القرين الثقافي في الكويت، فقد طلبت منه في تلك الأمسية أن يلقي قصيدة جميلة جديدة كنت قد سمعتها منه قبل الأمسية بأيام قليلة ولم تكن قد نشرت بعد، لكن وقت الأمسية كل قد شارف على الانتهاء ولم يتذكر المعلم الكبير أن يلقيها، حتى أنني أشرت له بطرف خفي وأنا على الطرف الأخر من المنصة مذكرة إياه بها، فما كان منه إلا أن ابتسم قائلاً: سأقرأ ما هو خير منها. وأيقنت حينها أنه سيختتم مشاركته بذلك الهدير الجليل:

مثل قد تجسدا
وقديم تجددا
وجديد جذوره
ضاربات بلا مدى
أرضه أو سماؤه
مثلما الصوت والصدى
ما ترى من تفاوت
مطلقاً أو مقيدا
ليس شيء كمثله
جمع الحسن مفردا
حشد الكون كله
فيه حشدا مجددا
واستدار الزمان في
ذاته مثلما بدا
مستمداً ومعطياً
واحد، إن تعددا
غاية ما سما لها
قبله من تمجدا
صورة لن ترى لها
مثلما قد ترددا
كان من قبل أحمد
واتاها محمدا

وأتذكر شخصياً أن نوعاً من الصداقة ذات النفس الأبوي كانت قد ربطني بالشاعر مع مجموعة من زملائي في قسم اللغة العربية بجامعة الكويت في نهاية الثمانينيات حيث كان يحتفي بتجاربنا المبكرة ويشجعنا على النشر، وعلى قراءة التراث، ولم يكن الزيد يتوانى من فتح مكتبته الضخمة والتي تقع في رواق خاص في بيته لنا للاستعارة منها ما نشاء من الكتب، والأهم أنه كان يصارحنا برأيه عندما لا يعجبه شيئا مما نكتب، ورغم تخوفنا في البداية من اطلاعه على شيء من نصوصنا الحداثية باعتباره شاعرا كلاسيكيا، وفقا لتلك التقسيمات النقدية الموروثة، ألا أننا فوجئنا عندما فعلنا بأنه أول من يشجعنا على تلك الحداثة التي كنا نتلمس أطرافها في حين كان هو نموذجا متفردا من نماذجها الخاصة.

وعندما رثاه الشاعر يعقوب السبيعي بعبارة موجزة فقال فيها «كلنا خرجنا من عباءته»، اختصر الشاعر يعقوب السبيعي علاقة أكثر

من جيل شعري في الكويت بالشاعر الراحل خالد سعود الزيد، والذي يحلو للكثيرين أن يطلقوا عليه معلم الجيل، ومؤرخ الأدب الكويتي في قرنين، والشاعر المتصوف وغيرها من الألقاب والمسميات التي استمدت من اهتمامات الراحل المتعددة والتي تجاوزت موهبته الشعرية المتميزة إلى تجليات أخرى منه التوثيق والتأريخ للأدب في الكويت، ومنها جمع المخطوطات القديمة، ومنها اهتمامات تنقيبية في الآثار، ومنها اهتمامات إعلامية تجسدت في أكثر من برنامج إذاعي قدمه في إذاعة الكويت على مدى سنوات طويلة، لكن اهتمامه الأكبر ظل دائما هو الشعر.. فقد بدأ شاعرا.. وانتهى شاعرا.

ورغم شاعريته الفذة والمتفردة في الوقت نفسه، إلا أن شهرته المحلية الأكبر كانت قد تحققت أساسا باعتباره أشهر من أرخ للأدب الكويتي ووثقه على مدى قرنين من الزمان هما عمر الدولة الكويتية، وذلك عبر كتابه الشهير بأجزائه الثلاثة «أدباء الكويت في قرنين» والذي لم يكن يفكر في وضعه البحث عن مصادرة الشحيحة في مظانها المتأبية لولا سؤال استفزازي ورد في مقال نشر في منتصف التستينيات وقال فيه الكاتب بطريقة استنكارية ساخرة أين هو الأدب في الكويت؟ فقرر الزيد لحظتها أن يرد عليه بطريقة عملية ومفيدة حيث انكب على البحث والتوثيق إلى أن انتهى من كتابة الجزء الأول من الكتاب فنشره متسلسلا في مجلة البيان أولا ثم نشره كاملا عام 1967، بلغ من نجاح هذا الجزء أن أعيدت طباعته بعد شهور قليلة مما جعله يستمر في تأليف الجزء الثاني منه ثم الجزء الثالث. لقد أرادالزيد أن يكون ذلك الكتاب التوثيقي الضخم، رده في تلك المعركة التي دارت رحاها بين معنيين ملتبسين من الاستفزاز الزائد عن الحد، والحماسة في الرد. ولم يكن الزيد منذ بداياته حتى نهاياته لينحاز إلى تلك المعاني الملتبسة في تطرفها الحاد. بل كان سمحا وصديقا للجميع... وأعني للجميع فعلا.

ويبدو أن كتاب «أدباء الكويت في قرنين» والنجاح الذي لقيه فتح شهية الزيد عن تأليف الكتب التي توثق للأدب في الكويت، فقدم على هذا الصعيد عدة كتب منها: «خالد الفرج حياته وآثاره»، و «عبدالله الفرج دراسة ومختارات» و «الكويت في دليل الخليج - السفر التاريخي» و « الكويت في دليل الخليج - السفر الجغرافي»، «قصص يتيمة في المجلات الكويتية» و «شيخ القصاصين الكويتيين فهد الدويري»، وغيرها من الكتب التوثيقية والتاريخية، إلى جانب الدواوين الشعرية.

وقد صدر أول ديوان شعري لخالد سعود الزيد عام 1970 بعنوان «صلوات في معبد مهجور» ورغم النجاح النقدي الذي قوبل به هذا الديوان الشعري الذي كان إضافة فنية مهمة للشعر في الكويت، إلا أن الزيد توقف بعده عن إصدار دواوين شعرية لمدة 15 عاما، فلم يصدر

ديوانه الثاني «كلمات من ألواح» إلا عام 1985، وبعده بسبع سنوات تقريبا صدر ديوانه الشعري الثالث بعنوان «بين واديك والقرى»، ثم ديوانه الرابع «صلوات من كاظمة».

وأربعة دواوين شعرية تبدو عددا قليلا بالنسبة لمسيرة خالد سعود الزيد الأدبية النشطة، ولكن يبدو أن في أدراج الزيد بعض الدواوين التي تنتظر النشر وربما بعض القصائد غير المنشورة، ومما يشير إلى ذلك أن الزيد كان قد شارك في عدة أمسيات شعرية بقصائد غير منشورة في دواوينه السابقة، كما أن الزيد بعض القصائد التي نشرها في الصحف الكويتية في السنوات الأخيرة ولم تجمع في كتاب حتى الآن.

وقراءة سريعة لعناوين دواوين الزيد الشعرية الأربعة على الأقل تجعلنا نكتشف ذلك النفس التصوفي الديني الذي ميز قصائد خالد سعود الزيد دون أن يهوي بها إلى مهاوي التقليدية والافتعال.

وقد عرف عن الشاعر الراحل خالد سعود الزيد أنه كان على علاقة متميزة مع جميع أدباء ومثقفي الكويت من جميع الأجيال، فقد كان ينظر إليه الكثيرون على أنه الوالد والمعلم، وأحد الرواد الكبار والمؤسسين الأوائل للحركة الفكرية والثقافية في الكويت. وأذكر أنني ما اتصلت به هاتفيا في يوم من الأيام حتى بادرني بسؤالي عن آخر ما كتبته من شعر، وآخر قراءاتي وخصوصا في كتب التراث، وما أن أذكر له عنوان كتاب ما حتى استفاض في الحديث عنه بصوته الجهوري المميز والذي كان يعرفه كل كن يتابع برنامجه الشهير في إذاعة الكويت والذي كان يقرأ فيه قبسات مختارة من التراث العربي.

وفي الكلمات التي ودع بها أدباء الكويت الراحل الكبير ما يدل على تلك العلاقة المميزة التي كان تربط هذا الشاعر الكبير بزملائه، فقد قال اسماعيل فهد اسماعيل أنه كان من أوائل الذين شجعوه على الكتابة»، أما خليفة الوقيان فقد قال عنه أنه كبير الحجم في مسيرة الحركة الشعرية بل والحركة الثقافية في الكويت.

ويقول د. سليمان الشطي أنه قطعة غالية من قلبي ونجمة بارقة من نجوم الكويت العزيز ونورا مشعا أضاء حياتنا الثقافية ووجداننا الأدبي».

أما رفيقه وزميله الشاعر الكبير علي السبتي فقد فضل أن يرثيه بقصيدة قال فيها:

جددت فيّ معارفا ومواهبا
وبك ارتقيت إلى الصفاء مراتبا
وفتحت لي بابا على ما اشتهي
فرأيت أنوار زهت ومذاهبا
وشربت من كأس شربت فأشرقت
تلك النجوم وكن قبل غواربا
فعرفت أي الصادقين صحبتهم
وفخرت أني صرت فيهم صاحبا

وبرحيل خالد سعود الزيد انطفأت شمعة كثيرا ما أنارت الدرب أمام الباحثين والدارسين للحركة الأدبية والثقافية في الكويت.. لكن ضوء هذه الشمعة يبقى مستمراً.

شرفة مطلة على «سيف كاظمة»:

مقالات ودراسات أدبية للراحل

خالد سعود الزيد

مكانة الزيد وسمات منهجه:

بقلم: حسن خضر

آمن الأديب الشاعر الكويتي الراحل خالد سعود الزيد (1937 ـ 2001) بأن «أصحابه كتبه»، وهي مقولة للإمام أبي الحسن الشاذلي. إنها المقولة التي تتأكد لنا في هذا الكتاب الجديد «إطلالة على سيف كاظمة» هذا الكتاب الذي جمع فيه الباحث الدؤوب عباس يوسف الحداد عدداً غير قليل من تراث الشاعر الراحل وقام بتصنيفها في ثلاثة فصول. وهو الكتاب الذي يعد الأول في سلسلة من الكتب ينوي الباحث إصدارها نتيجة حرصه على ميراث خالد الزيد الشعري والنقدي والتاريخي، فقد كان الرجل موسوعي الثقافة متعدد الاهتمامات شأنه شأن غيره من رواد الثقافة والأدب العربي.

ولا تخلو مقالات الزيد ودراساته الأدبية التي حواها هذا الكتاب من ملمح مهم ودائم في كل ما كتبه الزيد، ألا وهو النزوع نحو التاريخ والتوثيق، وكأنه مدفوع بالرغبة في الحفاظ على ميراث بلاده، وتأكيد هويتها وخصوصيتها الحضارية من خلال الأدب والتاريخ، وتطور الفنون في الكويت. لقد حملت هذه الدراسات أيضا ملامح اجتماعية وسياسية وثقافية عديدة تميزت بها الكويت في فترة مهمة من فترات تاريخها الحديث والمعاصر «إذ أنها جاءت بعد حصول الكويت على استقلالها عام 1961م، وكأنها إيذان بترسيخ مفهوم الهوية، الانتماء، والوجود الجغرافي والتاريخي عبر المفهوم الفكري للكويت وجوداً وحدوداً»، كما يرى الباحث في مقدمته الضافية للكتاب، والتي أكد فيها الدوافع المهمة والوطنية لإعادة بعث هذا الميراث الثري إبداعياً لخالد سعود الزيد، وهو الأمر الذي تتأكد لنا معه القيمة والمكانة التي مثلها الراحل - رحمه الله تعالى - في الثقافة الكويتية، وفي نهضة الكويت بشكل عام. وما الاحتفاء بالزيد شاعراً وأديباً ومؤرخاً إلا دلالة على استمرار مسيرة النهضة الثقافية للكويت، وتدعيماً لقيم أصيلة داخل هذه الثقافة.

تعد الدراسات الأدبية والمقالات التاريخية هنا - في هذا الكتاب - مجالاً جيداً للدرس المنهجي، وبيئة صالحة للحرث الأنثربولوجي والسوسيولوجي الذي يعد ناجعاً كأداة في دراسة تاريخ الأدب واستقصاء الظواهر الاجتماعية والسياسية والحضارية بعامة من خلال نصوص الشعر، ورصد الفنون المختلفة كالمسرح والقصة، وكتابة المقال، والنثر الفني في الكويت التي مثلت في وقت مبكر بيئة آمنة بعيداً عن الصراعات التي تعج بها البلدان المجاورة، وهو ما جعلها محط آمال الباحثين عن الراحة والهدوء، والتجارة بعيداً عن القلاقل التي دائما ما تمثل ذعراً لرأس المال.

بدايات النهضة المبكرة

يتتبع الزيد في الفصل الأول هذه الملامح الجغرافية والتاريخية الأولى والأساسية التي مهدت الطريق أمام بناء مؤسسات المجتمع المدني الكويتي الحديث، منذ البداية التي رافقها «حكم الشورى» في الإمارة الناشئة عام 1756م وتحت حكم الشيخ «صباح الأول» في ذلك الوقت. وفي مسار تتبعه لتطور الكويت حضارياً يعتبر الزيد الفترة من 1762م وحتى 1813م فترة ثرية ومهمة في التاريخ الكويتي. إنها الفترة التي تكاتفت فيها ظروف داخلية وخارجية كثيرة من أجل ازدهار الكويت، ودفعها إلى بسط شهرتها في آفاق الجزيرة العربية.

ومن هذه العوامل هجرة تجار كثيرين من البصرة وغيرها من البلدان إلى الكويت تجنباً لبطش الفرس، بحيث صارت الكويت موئلا لهؤلاء التجار ووفرت لهم بيئة

صالحة للنمو الاقتصادي والازدهار التجاري.

لعبت الكويت في تلك الآونة دور الوسيط التجاري الذي يستقبل التجارة القادمة من الهند وأفريقيا، ويقوم بتوزيعها على بلدان الشام وغيرها من البلاد، وكأنها القلب الذي يلعب دور ضخ الدم لبقية أجهزة الجسد، عبر شرايينه وأوردته. إنها الذروة التي دعت «شركة الهند الشرقية» إلى نقل مركز بريدها من البصرة إلى الكويت. وقد كان لبناء الأسطول التجاري الكويتي الضخم دوراً مهماً في اتساع وتنشيط حركة التجارة في هذا الجزء الحيوي من الشرق الأوسط آنذاك، كما كان للسفر خلف التجارة عبر بلدان كثيرة أثر ثقافي واضح، فقد احتك التجار والبحارة وغيرهم من أبناء الكويت مبكراً بعدد من الشعوب المجاورة وتأثروا بثقافاتهم وعاداتهم ونقلوا عنهم الكثير.

ملامح أسلوبية

ويتميز الأديب الراحل خالد سعود الزيد بأسلوب رصين، وغاية في اليسر والبساطة، وتبدو في كتاباته سمة جوهرية أخرى مهمة بدت في هذا الأسلوب الذي يلح على صاحبه هاجس المعلم، المعني دائما بالتعليم. يلحظ المدقق ميل الزيد إلى البساطة بلا تبسُّط، وكأنه مهموم بالآخر، المتلقى، همّ المعلم بأبنائه، وتلاميذه، ومريديه. وكأنني به - في كثير مما يكتب - الراوي الذي يعيد، ويكرر ما يقوله مراراً ليتأكد من تمام بثّه في عقول الجمهور، وتمام رسوخ قيمه في أذهانهم. فالزيد بالرغم من فصاحة أسلوبه، لم يكن يشق عليه وهو عالم جليل في الأدب واللغة أن يدنو بأسلوبه من إفهام وعقول العامة التي يعرف أنها على تنوعها واختلاف مستويات وعي أصحابها، فهي شفاهية الثقافة والتكوين، لذا نجد الزيد - رحمه الله - غير ميال إلى الاصطلاحات، أو التقعير في أسلوبه، إنه «يكتب» كمن «يقول».

إن الرصد، والتوثيق، والتحليل ثلاث أدوات منهجية في أسلوب الراحل خالد سعود الزيد، يستخدمها معاً، في صور متناوبة، أو متداولة في كافة ما يتناوله من قضايا الثقافة والأدب والتاريخ الكويتي. ونحاول هنا أن نعرج على أمثلة تطبيقية لهذا المنهج داخل الدراسات التي جمعها عباس الحداد في هذا الكتاب. ومنها هذه الدراسة «التوثيقية» التي يتناول الزيد فيها جزءاً مهماً من نشأة وتطور تاريخ الأدب في الكويت على يد السيد «عبدالجليل الطبطبائي» (1776 - 1853م) ودور الرجل في تطور ونمو الوعي الكويتي العام ليتجاوز تدريجياً عبر التعليم والتثقيف الحدود البدائية والضيقة للحياة القاصرة آنذاك على المعاملات التجارية اليومية إلى حدود أرحب للمعرفة والوعي، بدءاً من الدور الذي لعبته «الكتاتيب» في ذلك وجهود الطبطبائي وهذه الثلة من الرعيل الأول من المعلمين الذين كثيراً ما عملوا في مدرستين اثنتين في الوقت نفسه

لقلة عـــددهم آنذاك، وبدافع من الاضطلاع بالدور الوطني والعام الذي كان بنّاء وحيوياً في تلك الفترة، إنهم رجال مؤمنون بالرسالة التي يؤدونها لبلادهم. وما أحوج البلاد العربية الآن لمثل هؤلاء الرجال. ومنهم السيد أحمد بن عبدالجليل الطبطبائي ومن أفادوا من علمه ليعلموا الناس، ومنهم الشيخ خالد بن عبدالله العدساني، والشيخ محمد بن عبدالله بن فارس وغيرهم.

يقول الزيد عن تلك الفترة: «نلمس في هذه الفترة بوادر نمو الأدب وازدهار الموسيقا وتقدم الفنون، وما من شك في أن للموسيقا أثراً بارزاً في تنشيط الحركة الأدبية والفكرية، لاسيما جانب الشعر منها». ولنتأمل ما تنطوي عليه رؤية الزيد هنا من تقدير عالٍ ومتقدم لأثر الفنون في بعضها البعض، وابتعاده عن الرؤية الأحادية التي طبعت نظرة بعض مجايلية في الكويت أو خارجها إلى بعض الفنون، ومنها الموسيقى والغناء على وجه الخصوص، وذلك دلالة كبيرة على إيمان الزيد بالتنوع والتعددية مبكرا.

مثال آخر يتجلى لهذا المنهج الذي يعد مفيداً في النظر إلى تاريخ الآداب والفنون وتطورها، يبدو واضحاً لدى الزيد في تناوله لنشأة الشعر الكويتي وبداية النثر الفني وأدب الرسائل. فهو لا يتوقف عند الجوانب الفنية والأسلوبية الجمالية لدى الشاعر أو الناشر، إنما يتخطى ذلك إلى الدخول في تحليل واستنباط عدد من السمات التاريخية للفترة التي تم إنتاج النص فيها، سواء كان قصيدة أو قصة أو مسرحية أو حتى رسالة.

ومن ذلك تطبيقياً ما وقف عليه الزيد من ظواهر نوعية مختلفة، اجتماعية وسياسية، واقتصادية، حضارية في المعنى العام لها داخل رسالة - قام بتحليلها - أرسل بها في مارس 1845م السيد «أحمد السديري» أمير الإحساء إلى الشاعر الرائد والمعلم الجليل «الطبطبائي».. إنه المنهج ذاته الذي يتأكد في دراسة الزيد الموسعة حول «القضايا الاجتماعية في الأدب الكويتي».

الفكر الكويتي وقضية «التجديد»:

ومع بداية القرن العشرين كانت الكويت قد أصبحت قادرة ثقافياً وحضارياً عبر مفكريها وكتابها على الخوض بقوة في أحد أهم قضايا أوائل القرن العشرين في العالم العربي آنذاك، وهي القضية التي أخذت من التوصيفات النوعية الكثير، مثل قضية الأصالة والمعاصرة - صراع القديم والجديد - وهي وإن كانت قد سميت بأسماء عديدة، إلا أنها بلاشك انطوت على هاجس التحول والرغبة الشديد في البحث عن الهوية العربية الإسلامية في إطار التحديث، وأنها أيضا - أي هذه القضية - قد شملت جوانب كثيرة من الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية للمجتمعات العربية آنذاك، وهو ما رافقته آنذاك دعوات الإصلاح. وقد أفاض الشيخ

عبدالعزيز الرشيد في وصف هذا الصراع وذلك التحول في كتابه «تاريخ الكويت» المطبوع عام 1926، فقد استجلى في هذا الكتاب مواقف الرافضة للتحديث الذي كانت تنطوي عليه أفكار الشيخ جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده ومن شايعهما من كتاب الإصلاح ورواده آنذاك، وكيف أن هذا الصراع حين مس الفكر الكويتي أثار في مياهه الأمواج كغيرها من مياه الثقافة العربية التي اهتمت بهذه الأفكار الجديدة بين رافض ومؤيد. وقاد «الحملة» ضد أفكار الإصلاح في الكويت آنذاك الشيخ «أحمد الفارسي» حتى أنه كتب قصيدة يهجو فيها مجلة «المنار» وأصحابها، يقول فيها:

ورب المنار امتاز عنهم بدعوة
إلى شرع شيطان عليه بلاء
فياليت شعري ما أقول بمارق
له عن سبيل المؤمنين إباء

وقد لاقت هذه القصيدة قبولاً ورواجاً شديدين لدى أصحاب العقول التقليدية، والإفهام المغلقة التي تعتبر دائماً وفي كل عصر من العصور أن الحفاظ على التراث بتمجيده ووضعه على رف مقدس من أرفف الذاكرة، دون أن تدري أبداً هذه العقول أن هذا «تحنيط» للتراث، لا حفاظاً عليه، وكم من شعوب اندثرت واضمحلت بسبب حجرها التاريخي على التطور والتجديد تحت دعاوى الحرص على التراث والتراث حياته في تطويره وتطويعه للمعاصرة، وحياته في الإضافة إليه وإثرائه.

وفي غمرة هذا الصراع بين أنصار القديم وأنصار الجديد زار رشيد رضا الكويت عام 1912م ليخطب ويحاضر في أهلها.

«البعثات» والنهضة الثقافية:

وفي مسار تتبعه التوثيقي التاريخي في الدراسات التي تضمنها الكتاب يشير الأديب الراحل خالد سعود الزيد إلى «البعثات» وأثرها في غرس البذور الحقيقية الأولى للتعددية وترسيخ قيم العلم والثقافة في الحياة والمجتمع الكويتي الحديث. لقد جسدت تلك البعثات عمق الروابط التاريخية التي ربطت الكويت مبكراً ببلدان عربية شقيقة مثل مصر والمغرب العربي، وعبرت أيضاً هذه البعثات عن طموح الطليعة العلمية والثقافية من أبناء الكويت وشبابه في تخطي حدود الجغرافيا اجتماعياً وثقافياً والانفتاح على ثقافات الشعوب العربية المجاورة.

وقد كان عيسى بن علوي المتوفي عام 1863 من أوائل المبعوثين الكويتيين، فقد درس الطب في مصر إلى جانب دراسته الفقه وأمور العقيدة والمعاملات الإسلامية. ومن هؤلاء الرواد أيضا أحمد الفارسي الحاصل على «العالمية» من الأزهر الشريف والذي توفى - متجاوزاً التسعين من عمره - في 1935م ومنهم أيضا ماجد بن سلطان بن فهد الذي يعد واحداً من أهم دعاة الإصلاح في الخليج العربي آنذاك. وعند ذكر المبعوثين الرواد وأثرهم في النهضة

الثقافية والاجتماعية للكويت، لم ينس خالد الزيد - رحمه الله - واحداً من أهم علماء الجغرافيا العرب، وهو «عيسى القطامي» الذي لقّبه الزيد - لتبحّره في هذا العلم - بـ «ابن ماجد عصره».

ويلفت انتباهنا في هذا الرعيل الأول من العلماء والأدباء والمفكرين الكويتيين أنهم جميعا اندفعوا وراء التحصيل المعرفي وتحقيق غايات التعلم حتى يعودوا ويساهموا في نهضة بلادهم. وقد انطوت هذه البعثات على ذلك العمق الأصيل في الثقافة العربية بدافع من أواصر الثقافة الواحدة، واللغة والدين، وتؤكد البعثات قدَم الجسر الواصل بين الثقافة والمجتمع الكويتي المحلي وغيره من البلدان العربية الشقيقة، ومنها البحرين الذي تعد تاريخياً نبضة أخرى من نبضات القلب الكويتي نفسه والعكس صحيح، وأيضا مصر التي لعبت دوراً مهماً في هذه البعثات، وكذلك المغرب العربي الذي تربطه بالكويت ثقافياً علاقات قوية وقديمة، ولاتزال حية متطورة إلى الآن.

لقد أثمرت جهود المبعوثين وآتت أكلها في أوائل القرن العشرين، وبالتحديد طوال النصف الأول منه، ومن ذلك ما شهدته الكويت من نهضة تعليمية وثقافية تجلت في المسرح والقصة والشعر، وغيرها من فنون الأدب، كذلك رافقت هذه النهضة - التي وازت نهضات مثيلة في بلدان عربية أخرى - عدة مجالات ثقافية وأدبية، ونشاط فكري واجتماعي ملحوظ للروابط والنوادي الأدبية والتعليمية، وغيرها من مؤسسات المجتمع المدني الناهض في الكويت آنذاك.

أعلام كويتيون رواد:

في الفصل الثاني من الكتاب رتب الباحث عباس يوسف الحداد من مقالات ودراسات الراحل الزيد ما يمكن اعتباره «تراجم» لعدد من أهم أعلام الكويت وروادها. ومنهم الشاعر الكبير عبدالله الفرج (1836 - 1901م) وهو واحد من أهم شعراء الكويت البارزين على الرغم من ضياع ميراثه الشعري الفصيح، وما ظل من ميراثه في الشعر العاص فضلاً عما لعبه من دور مبكر في الثقافة الكويتية يمنحه هذه المكانة عن جدارة واستحقاق. لقد كان «الفرج» شاعراً وراوية، وموسيقياً بارعاً تركت موسيقاه أثراً واضحاً في الغناء الكويتي والخليجي بشكل عام حتى هذه اللحظة.

ويأتي بعد ذلك المعلم والأديب المؤرخ أحد مفكري الإصلاح العرب الشيخ عبدالعزيز الرشيد (1883 - 1939م) الذي يعد علماً بارزاً من أعلام الكويت وأسباب نهضته المبكرة. لقد كانت للشيخ عبدالعزيز الرشيد جهود كبيرة في مجالات الإصلاح الاجتماعي، وعرفت عنه مواقفه الفكرية العديدة والحاسمة التي ناصر فيها دعوة التجديد والتحديث في غمرة صراع «القديم والجديد» الذي انتظمت داخله بيئات الثقافة العربية المختلفة أواخر القرن التاسع

عشر وأوائل القرن العشرين. ولم تقف جهود الرشيد في هذا المجال عند حدود الكتابة والتأليف، بل تعدت ذلك إلى سفره بلدان عربية وإسلامية كثيرة سعياً وراء الدعوة والإرشاد ونشر أفكار الجهاد.

ومن هؤلاء الأعلام الراحل «خالد الفرج» شاعر الخليج الذي تنضح أشعاره بحلم «الوحدة العربية». وفي هذه الدراسة يتناول الزيد بالتحليل قصيدتين غير منشورتين للشاعر، فيلمح اختياره لقافية واحدة هي «العينية» وما تحيل إليه من شجن، إحداهما في رثاء «عبدالله بن خلف الدحيان» والأخرى في رثاء «علي بن حسن الخنيزي» وهما قطبان دينيان معروفان في مسيرة الإصلاح الديني بالورع والتقى. لقد رأى «الزيد» في اتحاد قافية القصيدتين بالرغم من مرور ما يقرب من اثنى عشر عاماً بين كتابة كل منهما، ملمحاً أسلوبياً مهماً لدى خالد الفرج حين عد الزيد التماثل في القافية إشارة دالة من الشاعر على التماثل في المكانة بين الفقيدين، وكذا في درجة الفقد والحزن على الراحلين وما اتخاذ الفرج وزناً طرباً راقصاً لهاتين القصيدتين إلا إحالة جمالية لمعنى فرصة الراحلين بالجنة ومفارقة الحياة الدنيا. لقد لعب الوزن دورا في تأكيد مدى استبشار هذا النفر من أهل الصلاح والتقوى بلقاء الله تعالى.

وفي إحدى الدراسات يستخدم «الزيد» منهج الدرس المقارن، عندما يتناول «صقر الشبيب» (1894 - 1963م) وهو أحد الشعراء المهمين في الشعر الكويتي المعاصر، تغلب على شعره نزعة وجودية تتبدى في مساءلة الوجود وجدوى الحياة. وقد كان الشبيب - رحمه الله تعالى - ضريراً منذ الصغر، فضلاً عن اعتزله الناس في أواخر أيامه، وهي السمات الكلية التي دفعت «الزيد» نحو المقارنة بينه وبين «أبي العلاء المعري». و«الشبيب» واحد ممن تتلمذوا على يد الشيخ عبدالعزيز الرشيد، وعاش أزهى فترة «ولد بها تاريخ الكويت من جديد، وبعث بها الفكر بعثاً حديثاً سالكاً مسالك الثورة الاجتماعية والفكرية التي بُعثت في مصر والشام، منتهجاً نهجاً، مترسماً خُطاها».

ثم يتناول الزيد بالدراسة والتحليل نماذج شعرية لدى واحد من أهم شعراء الطبع، ألا وهو الشاعر «عبداللطيف النصف» (1904 - 1971م) مؤكداً في دراسته له على النزعة الوطنية والقومية التي تميز بها شعر «النصف» الذي لم ينظر قط إلى العرب إلى بوصفهم «أمة واحدة». يتتبع الزيد التاريخ الفكري لمسألة «القومية» وتطورها في الفكر والثقافة العربية حتى يصل إلى تجليها لدى الشاعر عبداللطيف النصف الذي أنشأ قصيدة في تحية ومؤازرة قائد ثورة المغرب العربي عبدالكريم الخطابي عام 1923م جاء فيها:

طلعت فظنوا في ثيابك طارقاً
وذكرتهم أيام طارق فيهم
فلله يوم فيك قد شهد العدا
حُساماً جلاه الله لا يتثلم

أما الشاعر الراحل «عبدالله سنان» (1917 - 1984م) فيعتبره الزيد «شاعر الشعب»، فهو وإن كان يكتب شعر الفصحى، إلا أن شعره قد تميز برصد أدق تفاصيل الأحداث التاريخية المهمة لأكثر من نصف قرن والتي مرّ بها المجتمع الكويتي. ويرد الزيد على بعض ما قالوا بوجود «هنّات» نحوية في شعره، قائلا: «ويقولون لي: يخطئ في النحو أحيانا، ويلحن في اللغة فأقول: ما على هذا الشلال المتدفق إن أخطأ المجرى في قليل من شآبيبه أو في كثير منها». ولم يكن الشاعر الكويتي الراحل عبدالله سنان يتورع قط عن الجهر بالحق، وهو ما أضفى على شعره نوعا من الخشونة التي تُظهر بجلاء شجاعته في مواقفه، وحدته في الدفاع عنها. ثمة ملمح آخر يشير إليه «الزيد» في دراسته لعبدالله سنان، يتمثل في اتساع مفهوم الإنسان لديه بعيداً عن النظرة المحدودة للإنسان «العربي» ليصبح الإنسان - بمعناه الأشمل والأرحب - هو «الإنسانية».

لقد تميز عبدالله سنان - رحمه الله - بحضور القريحة وسرعة البديهية، والعفوية بلا تكلف أو زيف. وهنا يسرد «الزيد» قصة طريفة، حين افترش «سنان» الأرض بين حشود من أبناء الجالية الهندية في الكويت عام 1966م كانوا في احتفال اقامته الجالية آنذاك احتفالا بميلاد الزعيم المهاتما غاندي الذي حضر الاحتفال، وراح عبدالله سنان ينشر قصيدة في هذا الموقف، غاية في الروعة والعذوبة، مطلعها:

أذهبت روحك في البلاد شعاعا
ومشيت في الجمع الغفير مطاعا

لقد كان الزيد - كما أسلفنا - ميالاً إلى حسه التوثيقي التاريخي فيما يدرسه من نصوص الأدب والشعر الكويتي. وها هو في دراسته للراحل «يوسف الدويري» أي شيخ القصة الكويتية فهد الدويري - رحم الله الجميع - يتتبع الزيد فترة مهمة من التاريخ الكويتي بعد الاستقلال عن السيطرة العثمانية تحت حكم الشيخ «مبارك الصباح» الذي تولى حكم البلاد عام 1896م ويعتبر مشيد النهضة الكويتية التي لاتزال قائمة وممتدة بآثرها إلى اليوم على جميع المستويات.

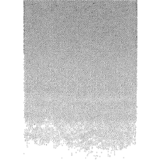
التراث الشعبي الكويتي

أما في الفصل الثالث، فيدرس الزيد بإفاضة وافية تاريخ الفنون الشعبية في الكويت، مشيراً إلى كتابه الذي ألفه في صبا العمر بعنوان «من الأمثال الشعبية» عام 1961م وفيه جمع الزيد عدداً من الأمثال الشعبية الكويتية على لسان أفراد وجماعات الشعب الكويتي من مختلف الأعمار والبيئات. وكانت تغمره السعادة عندما يعثر على معنى مماثل بين مثلين أحدهما عامي والآخر فصيح، لكنه على حد قوله عن هذا الكتاب المبكر: «لم أقصد التأليف قصدا، ولم أسع إليه هادفا» ويسرد قصته مع هذا الكتاب مشيرا إلى أنه ذكرها بتوسع في مقدمة بعنوان «تجربتي

مع الشعر» في ديوان: صلوات في معبد مهجور. وبالرغم من ذلك، فإن «الزيد» يقدم لنا الأسس التي ينبني عليها درس الأمثال والحكمة في التراث الشعبي لأمة من الأمم. ومنها الاعتماد على القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكذلك معاجم اللغة وكتب التعريفات، ويتعامل «الزيد» مع الأمثال والحكم لغوياً واصطلاحياً قياساً على كونها نتاج حي وإنساني مرتبط بحياة الناس، ودال على البيئة الاجتماعية والثقافية الحضارية لشعب من الشعوب.

ونظرة ختامية سريعة على «آثار الأديب الراحل خالد سعود الزيد» التي أثبتها الباحث عباس الحداد في نهاية الكتاب، تدلنا على مدى أهمية وثراء وتنوع هذا الميراث الغزير الذي تركه الرجل، ومدى ما تمتع به من عمق في التناول وموسوعية ثقافية فمن الأدب الشعبي إلى دراسة أعلام الكويت، والتاريخ لنهضة البلاد سياسياً وثقافياً واجتماعياً، إلى أدب الرحلات، وقرض الشعر، والاهتمام بالفنون الكويتية المختلفة ومؤلفيها وروادها بدءاً من الشعر مروراً بالمسرح والقصة وانتهاء بالسير والتراجم، وقد بلغت كتبه - على هذا التنوع - حتى الآن خمسة وعشرين كتابا منها ذلك السفر المكون من ثلاثة أجزاء بعنوان «أدباء الكويت في قرنين» و«الكويت في دليل الخليج» جزءان.. أحدهما «السِّفر التاريخي» والآخر «السِّفر الجغرافي». وتقديمه وتحقيقه لآثار الشاعر الراحل «خالد الفرج» في جزأين، وغيرها من الآثار الأدبية المهمة، رحم الله تعالى الفقيد خالد سعود الزيد وعوّض عنه بلاده بغرسه الطيب في أرض الثقافة والفكر الكويتي الناهض، والمستمر في جهود كثير من أوفيائه وخلصائه من أبنائه وتلاميذه الذين أصبح كثيرون منهم الآن أعلاماً في الثقافة الكويتية المعاصرة.

الديوان الصغير



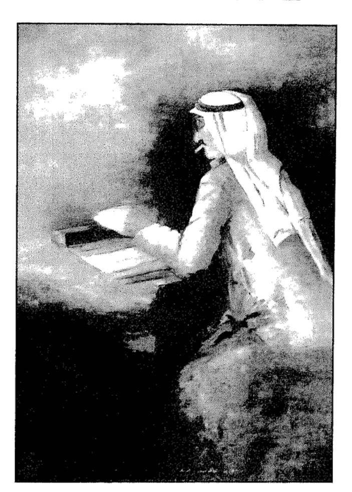
الشاعر خالد سعود الزيد

ملامح ومختارات

الديوان الصغير

إعداد وتقديم:

عباس يوسف الحداد



اللوحة بريشة الفنان الكويتي بدر القطامي

كـانت للقـراءات المبكرة دورها البـارز في تشكيل الملامح الأسـاسـية للتـجربة الشـعرية عند خـالد سـعـود الزيد، فـقـد أكب على القـراءة منذ صـغره، فقرأ السير الشعبية ولاسيما سـيرة عنترة وبطولاته التي تمثلها بين أترابه في المدرسة، كما عكف على قـراءة فـتـاوى ابن تيـمـيـة التي كـانت تقبع في مكتبة والده - رحمه الله - ثم توجه بعد ذلك إلى قـراءة الكتب ذات المنزع الإنسـاني العام، كمسـرحيات شكسـبـيـر وروايات تولسـتـوي ودوستوفسكي.

شكلت تلك القـراءات الخطوط العـريضـة لتـجـربة الزيد الشـعـرية، وباتت القـاعـدة التي انبنت عليـهـا التجربة بعد ذلك، فاصطبغت البدايات بصـبـغة دينية قـومية بطولية، تنزع نحـو الخطابيـة والمنبـرية، وتزدحم بالألفـاظ التـراثية والمعـجـمـيـة التي تكشف عن ثقافـة فـقـهـية وتـاريخـية حظي بـهـا الزيد فـي نشـأته، وفـي مـارس من العـام 1954م. نشـر الزيد أول قـصـيـدة شـعـرية له في مـجلة «اليـقظة المدرسـيـة» لسـان المدرسـة الثانوية بالشـويخ، وكـانت القصـيدة بعنوان «صيحة عربية» ومطلعها:

أنـبـئ الخـطّـابَ يـأتـي ويَـرى
مـا دَهَى الشـرقُ ومـاذا قـد جَـرى
مـا هي القـدسُ ومـا حَلَّ بـهـا
أَيْن أين القـدسُ تـدعـو عُـمَـرا
كيف أضحى العرْبُ في فوضى على
شَـرِّ حـالٍ كـيف أضـحـوا زُمَـرا

ولا يصـعـب على القـارئ رؤية مـواطن البطولة واللجـوء إلى السلف في مـواجـهـة الحـاضـر المليء بالقـهر والذل والانكسار، وسيطرة الأجنبي على مـقـدرات ومـقـدسـات الأمـة واحتلال القدس.

جـاءت قـصـائد البدايات كلهـا بلا استثناء محملة بنزعة قومية عربية، مصبوغـة بصبغة دينية، ففي نهاية العـام 1954م. أنشـد الزيد قـصـيـدة بمناسـبـة المولد النبـوي الشـريف، مطلعها:

نورٌ بمكةَ قـد أضـاءَ وأشـرقـا
وأبانَ لـلنـاسِ الهـدايةَ والـتُّـقى
ومـحـا رسـومَ الجـاهليـة كُلَّهـا
وأقـام عـدلاً في البـرِيَةِ مُطلقـا

لقـد ظلت تجـربة الزيد الشـعـرية محتفية بالقومي والديني على نحو مفـارق ومقـارب للخطابيـة في آن، إذ بدأت تلك التـجـربة تصـوغ رؤيتـهـا حـول «القصيدة» و«الشـاعـر» صيـاغة شـعرية، فالقصيـدة لدى الزيد وحي أعـمـاق الشـاعـر ووجـدانه، وتجـربة تخـرج من حنايا الشـاعـر وفـؤاده، ألفـاظهـا مـبانٍ للمعـاني، وهي مظهـر هذا الكون، والفاعلة في حياة الكائنات طرباً وشـوقاً، شجواً ونوحاً:

إنِّي سكبـتُك من أعـمـاقِ وجـداني
يا مهبطَ الوحي يا فيـحـاءَ بُستاني
فـأنت مظهـرُ هذا الكون نسمـعـه
وَحْـيـا، ونـعـرفـه رسمـاً بـإمـعـان

فالزيد يرى أن الشعر طاقة روحية

وجدانية، وتفجر وجداني غير خاضع للنظريات وقوالبها وقوانينها، إنه زفرات عاشق، وتأوهات حزين، وابتسامة طفل، إنه كل الحياة، في الشعر سيكتشف الإنسان المعاصر هويته، وسيرى جوهر حقيقته، بعد أن أبعدته ماديات الحياة عن الروحية وعن التطلع إلى آفاق القلب، فالشعر لديه قوة سماوية، وترنيمات ملائكية تنبعث من أعلى وتستقر في أعماق الوجدان، فتسمو به، وتحلق إلى آفاق عليا ورؤى الخلود، إنه خلق وإبداع ينبثق من أعماق الإنسان، والقصيدة قطعة من وجدان الإنسان، ووجدان الإنسان جزء من ذاته، وذاته جزء من هذا المجتمع ككل، فالقصيدة صورة من صوره.

في الوقت الذي يصوغ فيه الزيد رؤيته عن الشعر والقصيدة، نراه يحتفي بـ «الشاعر»، فيسبغ عليه من الصفات التي تكشف عن فرط إنسانيته، فهو صب كلف مولع رقيق مفرد موجع نشوان، يجمع الأشياء ويفرقها كأنه صانعها وباريها، ففي صمته سر، وفي إنشاده سحر، يريك الأشياء بعينه وبوحيه فيصنع صورة أخرى للوجود، صورة شعرية تخرج من مكنون أعماق النفس البشرية المبدعة:

صَبٌّ يداعبه الجمالُ فيسجعُ
كَلِفٌ بألحانِ الصبابة مُولعُ
يوحي إليكَ بيسانه عن رِقَّةٍ
كالبلبلِ الغِرِّيد لا يتصَنَّعُ

وقد ظل الزيد محباً للقراءة التي نشأ على حبها، فلم يتوقف يوماً عن القراءة، وفي مرحلة لاحقة أخذ يقرأ في كتب الفرق والمذاهب الإسلامية مفاضلاً بينها، ساعيا نحو الوصول إلى الحقيقة التي ينشدها، والتي ما انفك يبحث عنها داخل تلك المتناقضات التي يزخر بها تراثنا العربي والإسلامي وتوقع الإنسان في حيرة، قال يصف تلك المرحلة: «إني قرأت كل ما وقع تحت يدي من كتاب في التاريخ أو الدين أو الأدب أو العلم، وبينما تراني أعيش موغلاً في الإيمان، تراني متردياً في سفح حضيض الشك والتردد».

وهذه المرحلة من حياته الفكرية المتأرجحة بين الشك واليقين، بين الإيمان وعدمه، تلك المرحلة المفصلية، والمقدمة المعرفية التي قام عليها البناء الروحي والصوفي في تجربته الشعرية، وسلوكه الروحي، لقد عاش غربة روحية قبل أن ترسو سفينة تطوافه، وقبل أن يلتقي بالحقيقة إنه ظل يسافر مغترباً عن ذاته مقترباً من الحقيقة حتى قال: «وفي التصوف وجدت حقيقتي وشاهدت ذاتي، وما في ذاتي من وراء مستسلم وأمام يقود».

لقد سجل هذا اللقاء الروحي الجميل الذي تم له في لحظة قدرية مع الحقيقة في ذاته وفي وجدانه، في قصيدته، الحقيقة المطلقة» للعام 1970م:

مِثْك مـا في الحـروف من عنْفـوانٍ
يا ابتسـامات ثَغْـرها في المعـاني

فـالتجربة الشـعـرية الصـوفية عند الزيد تجربة غنية في معانيها ثرية في لغـتـهـا، إذ القـرآن الكريم مـصـدرها، وحب النبي صلى الله وعليـه وسلم وآله رافـدها، وهـذا ليس بغـريب على التـجـربة الشـعـرية الصـوفيـة بصـفة عـامـة، إذا اعتمدت التجـربة الشـعـرية الصوفية على القرآن دائماً وأفادت من التـركيب القـرآني والصـور القـرآنيـة واللغــة القــرآنيــة ممـا جـعـل النص الشـعـري الصـوفي يبدو أكثـر فنية وتماسكاً في بنيته وبنائه ولا أدل على ذلك من قـصيدة التـائية الكبرى لابن الفارض التي استلهمت البنية القرآنية برمـتـهـا في النص الشـعـري بلاغـيـاً وأسلوبيـاً ونحـويـاً ولغـويـاً، والزيد وهو غصن من تلك الشـجـرة الطيـبـة التي أصلها ثابت بالحق وفرعـهـا في سماء الحقيقة نهج هذا النـهـج، فجاءت قصـائده الصـوفيـة وليدة فـهم لآيات القرآن، ووعي لمعاني القرآن، تستمد من تلك اللغة القرآنية معينها متوالدة في توالدها المتجدد عبر استخدام فني واع أسس لتـجـربة شـعـرية خاصـة، تلك التجربة التي نشـأت في صـحـراء شـبـه الجـزيرة العـربيـة القـاحلة من الزرع والضـرع الروحـيين، كـأنهـا النخلة التي قليل من الماء يرويهـا، وكثـرة السـمـوم تحـمـيـهـا من الفناء وتحفظ لها بقاؤها المستمر.

وربما كان الزيد الشـاعر الخليجي الوحـيـد الذي يمتلك تجـربة شـعـرية صـوفـيـة في العـصـر الحـديث لهـا مـلامـحـهـا الواضـحـة عـبـر اللغـة والموروث الصـوفي، وخـصـوصـيـتها في رؤية العالم والوجود.

وربما نسـتطيع أن نغـزو تلك الخصـوصية وهذا التفرد في تجربة الزيد الشـعرية الصـوفية إلى سيادة الحـركـة الوهابية في منطقـة شـبـه الجزيرة العـربيـة ومـحـاربتـهـا منذ قـيـامـهـا لكل الحـركـات الصـوفـيـة، والمفاهيم الروحية التي تقيم علاقة مع الغيب الفاعل صوفياً، إذ إن تقييد النص والوقـوف على مـا جـاء به السلف الصالح دون تجديد ذلك الفهم أو الإضافة عليه هو من دعائم الحركة الوهابية، وخروج الزيد من تلك البيئة الحنبلية الوهابية في انتمائها الفقهي والفكري إلى واحـة الفكر الصـوفي يعـد خـروجـاً على السـائد ومـخـالفة للقـائم، وربما نجـد في هذا الخـروج مسـوغاته في شـخـصـيـة الزيد النزقة التي لا تركن للثـابت، باحـثـة عن التـحـول باسـتـمـرار، لا تقف ولا تريد الوقوف لأنها أدركت بوعيها الصوفي بأن «الوقـوف سـقـوط» وأن المتلفت وراءه لا يصل.

وقد كانت الشخصية المحمدية هي النموذج المحوري والمركز الحقي الذي انطلقت منه التـجـربة الشـعـرية الصـوفية عند الزيد، فمحمد الإنسان ومـحـمـد الوجـدان، ومـحـمـد الروح الأعظم، ومـحـمـد المثل الأعلى مـحـمـد «الذي ليس لمعناه في الحـقـيـقـة حـد» والذي الوجـود بأسـره من وجـوده

مستمد، وهو مقصود التجربة ومبتغاها وربما كان مطلع قصيدة (محمد) التي كتبها الزيد في العام 1976م تحمل في طياتها هذا المعنى الحقي، كما تشير إلى مضمون الحديث النبوي الشريف عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً جابر بن عبدالله: أخذ الله قبضة من نوره وقال لها: كوني محمداً ومنها خلق الخلق.

لذا جاءت قصيدة (محمد) وتلتها بعد ذلك قصيدة (صورة) في العام 1986م لتكشف عن أهم دعامة في تجربة (الزيد) الشعرية الصوفية، محمد العربي الأصل والمنشأ، الذي أحب العرب لثلاث: «لأن القرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي ولأنه عربي»، وليست عروبة محمد ـ هنا ـ عروبة عرقية ـ بقدر ما كانت عروبة حقية، عروبة تتصل بالحق الذي (عري) به الإنسان.

ومن ملامح التجربة الشعرية الصوفية لديه ـ أيضاً ـ حضور بعض الشخصيات الصوفية المثيرة للجدل في تراثنا العربي، فالحلاج (ت 309هـ) شخصية مقلقة في تاريخ التصوف الإسلامي، صلبت لتفنى، فما كان صلبها إلا سر بقائها حاضرة ومؤثرة فيمن جاء بعدها وكانت الشخصية الصوفية الأكثر استلهاماً في الشعر العربي المعاصر .

وكذلك شخصية أبي حامد الغزالي (ت 505هـ)، الذي كان شاغل الناس ولم يزل في بحثه عن الحقيقة، وقدرته على الأخذ من الشريعة، والأخذ من الحقيقة ليكون بينهما برزخاً لا يميل، وقياماً لا يغيب.

كما لا يفوت (الزيد) علينا فرصة التعرف على المدد الغيبي في نشأة النص الشعري ـ كما جاء في قصيدة الطواسين ـ عندما سأل معلمه عن معنى الطواسين فأجابه عن معناها شعراً، إنها أشبه بقصائد الأسلاف من الصوفية الذين كانوا يأخذون مددهم الفكري والشعري من مصدر حقي غيبي أمثال (ابن الفارض وابن عربي والجيلي).

ولا تتوقف صوفية التجربة الشعرية عند الزيد عند هذا فحسب بل نجدها تمتد امتداداً كبيراً في قصائده التي أنشأها في الغزو العراقي على الكويت (أغسطس 1990م) إذ أخذ مفهوم الشهيد لديه أبعاداً روحية وصوفية عميقة تقوم على القرآن، فالشهيد لم يعد شبحاً بل صار روحاً خالصة لبارئها، موجودة تحت العرش ممسكة به، وفي رأسها نور ونار.

إن التجربة الشعرية الصوفية عند الزيد هي تجربة إنسان سالك، جاهد في سبيل الوصول إلى الحقيقة بالنفس وبالكلمة، مترقياً من الكثيف الفكري إلى الشفيف الروحي، قاصداً وجهه، ساعياً نحوه، مقتدياً بالمثل الأعلى ليكونه:

فتشبهوا إنْ لم تكونوا مثلهم
إنَّ التَّشبه بالرِّجال فلا

مختارات من شعره

تبارك الله

وَقفْتُ مبهوتَ الرُّؤى حائراً
كحيرةِ المحزونِ في كربهِ
أُقلِّبُ الطرفَ بلا آخرٍ
أجوبُ هذا الشرقَ مع غربِهِ
أبحثُ عن ذي خبْرةٍ عالِمٍ
يَكْشفُ لي المكنونَ مِن غيبهِ
أَسْأَلُهُ عمَّن أشادَ السَّما،
مَن أوْجَد الكونَ على ما بِهِ؟
مَنْ أحْكَمَ الأفلاكَ في سَيْرِها؟
مَنْ سيَّرَ المخلوقَ في دَرْبِه؟
مَنْ أنْبَتَ الأعشابَ في بَرِّها
مَنْ أطلعَ المكمومَ مِنْ حَجْبِهِ؟
مَنْ فَجَّرَ الصَّخْرَ فسالتْ به
أوْديةٌ تَغْرِفُ مِنْ غَرْبِهِ؟
مَنْ أنشأَ السُّحْبَ وَمَنْ ساقَها،
للنَّازِحِ المَنْسيِ مِنْ رَكْبِهِ؟
مَنْ ألهمَ الشاعرَ أشْعارَه
فَبَاحَ بالأسْرارِ من قلْبِهِ؟
مَنْ عَلَّمَ الطَّيْرَ تَغاريدَها
مَنْ أكرمَ الإنسانَ في لُبِّهِ؟
أسْئِلَةٌ طارَ بها خافِقي
وحَارَ فيها الفكرُ مِنْ رُعْبِهِ
فصاحَ بِي في غَفْلَتي هاتفٌ
يا أيُّها المسْحُورُ في رَيبِهِ
انْظُرْ، تجِدْهُ اللهُ، آثارُه
مَلْمُوسةٌ تَنْطقُ عن قُرْبِهِ
مِنْ عالَمٍ غادٍ ومِنْ رائحٍ
وثابتٍ ما حادَ عَنْ سِرْبِهِ
فالشَّمسُ تَجْري في مداها الذي
حَدَّدَهُ، والبدرُ في دَرْبِهِ
ما زَاغَ عَن خطٍّ لهُ كوكبٌ
كلاَّ، ولم يَجْنَحْ على تربِهِ
فالكلُّ يَجْري في مداهُ الذي
قدَّرَهُ الرحمنُ في غيبِهِ
تَبَارَكَ اللهُ بآلائِهِ
ليسَ لهُ مِنْ خالقٍ مُشْبِهِ

1969

القصيدة

إني سكبتُكَ في أعْماقِ وجداني
يا مهبطَ الوحي يا فيحاءَ بستاني
ففيكِ ما في فؤادي من تجاربه
ومِن سجايايَ في أنسي وأحزاني
ما اللفظُ في نفسيَ النَّشوى سوى طلل
قدْ صغتُهُ فاستوى عملاقَ بنْيانِ
فأنت خَمرةُ كأسي حينَ أسْكبُها
ولا كؤوسَ لِمَنْ وجدانهُ فانِ
تُشجيكِ آهاتُ قلبي حينَ أرسلها
وتستبيكِ نوايا لحظيَ الجاني
لولاكِ ما وسمتْ عيني مدامعَها
على الوجودِ لتبقى كأسَ ألحانِ
ولا تجلّتْ خفايا النفسِ عابقةً
بجَوْهَرِ الروحِ من أعماقِ فنَّانِ
ولا نفى النَّومَ عن عينيهِ ذو همَمٍ
وصافحَ المجدَ في أشواقِ ولهانِ
ولا بكى النَّايُ من ترتيلِ ذي شجنٍ
وحَرَّكَ الدمعَ جرحُ المدنفِ العاني
فأنت مظهرُ هذا الكونِ نسمَعُهُ
وَحْياً، ونعرفُهُ رَسْماً بإمعانِ
ومقلةُ الحقِّ تُبْدى كلَّ كامنةٍ
منَ الحياةِ بلا زيفٍ وبهتانِ
لَوْ لامَسَتْ شفتاكِ الصَّخْرَ لانْبَجَسَتْ
ذرّاتُه عن أهازيجٍ وألحانِ

ومـاجَ من طربٍ رضـوى وعـانقـهُ
على البـعـادِ أخـو شـوقٍ بلبنانِ
*** *
كمْ ليلـة بتُّـهـا والهمُّ يعـصـرُني
عصـرًا، وقدْ مَزَّقَ الإرهابُ إنسـاني
فثُرْت بينَ خـلايا النفسِ معلنةً
ما ضاقَ عن كتمه روحي ووجداني
أضـأت شَمْعـاً دروبي فهي زاهيةٌ
وكنتِ في مُـدْلَـهِمِّ الخطبِ رُبّاني
*** *
لولا القصـيدةُ مَـا غنَّتْ مـغـرِّدةٌ
ولا بَكَتْ ذاتُ طوقٍ فـوقَ أفنانِ
هيَ الوجودُ وهَلْ هذا الوجـودُ سوى
قـصـيدة قـد بَرَتهـا كفُّ رَحْـمـان

الشاعر

صبٌّ يداعـبُـهُ الجَـمَـالُ فيـسـجعُ
كَلِفٌ بألحـانِ الصـبَّـابة مـولعُ
يـوحي إليكَ بيـانُه عن رقَّـة
كـالبلبل الـغـرِّيدِ لا يتـصنَّعُ
يسقيكَ كـأسَ الحزنِ وهو مغـرِّدٌ
ويذيبُ فـيكَ الأنسَ وهو الموجَعُ
نشوانُ من ذوب الحشاشة نسجُه
ومن الحـقـيـقـة هديةٌ والمنزعُ
يرنو إلـى الأفق البـعـيـد بلحظه
فـإذا الوجـودُ بناظريه مـجـمّعُ
في صـمـتـه سرٌّ، وفي إنشـاده
سِحْرٌ يفـرِّقُ مـا يشـاءُ ويَجْـمَعُ
***
بشـراً تراهُ فـمـا يروعُك مظهـرٌ
من شكله وكـأنمـا هو بلـقعُ
حـتى إذا فـاضتْ مـدامعُ قلبـه
وطغى الشـعـورُ ومـا لذلكَ مَدْفَعُ
يَنْهـدُّ كـالجَـبلِ الأشمِّ ممزَّقـاً
صمتَ الوجـودِ وأينَ منه المفـزعُ

حبب

حَـببٌ قـدْ سـاقـهُ حـببُ
مـا بـه أينٌ ولا تـعـبُ
واثبٌ والكـأسُ تحـضـنهُ
وبه من قـاعـهـا لـهبُ
يَتَـعـالى وهوَ منحـدرٌ
مـادرى أن الذرى عطبُ
شـاقني والله منظرُهُ
وهو منسـابٌ ومنسكب
فـكـأنّ الأرضَ ثـائـرةٌ
فـهيَ من أعـمـاقـهـا تَثِبُ
وكـأنّ الكـأسَ مـتـرعـةٌ
قـد غـزت أجـواءَها الشـهبُ
يـتـنـزّى مـثلَ ذي ألـم
جـرحَتْ أعـمـاقـهُ النُّوَبُ
ويـوالـي دفـعَ أوّلـه
آخـرٌ في القـاعِ يلتـهبُ
هو روحُ الخـمـرِ إن سُكِبَتْ
فلهُ في صُنعـهـا عَـجَبُ
مـا أرى الصَّـهـباءَ مُـغـريتي
لو يجـافي كـأسَـهـا الحـببُ

عودة قلب

إسقنيها خمرةً من شفتيها
أنا لا أدري سوى أنّي لديها
عبدُ رقٍّ فاسألوها
حينما لامسَ فوها
فاه قلبي،
فاستوى بين يديها
يتجلّى طربا
يتخطّى الحُجُبا
كانَ شيئاً عجبا

ما رأيناه سويّا
حينما غبنا مليّا
في سماء اللا نهايه
إنها سرُّ الروايه

فاسمعوها:
كانَ لي قلبٌ على دربِ الخطايا
سارَ منساقاً بهاتيك الزّوايا
مظلمَ الأعماقِ منهوكَ الخلايا
لا يفيقُ،
أو يطيق،
رؤيةَ النورِ الحنونِ
بلْ تمادَى في المجونِ،
بجنونٍ...
آه ما أشْقاهُ قد داسَ الفضيلهْ
وَسَبَتْ قوّتَه كأسُ الرذيله
فهوى في قاعِ أحلامٍ هزيله
كالغريب.
وهناك...
من هناك
صاحَ بي هاتفُ السحرْ
معلناً ضربة القدرْ
إنه الحبُّ لا مفرْ
ساقه صانعُ القدرْ
فابْسمي يا زهورْ
غرِّدي يا طيورْ
فلقد كسَّرَ القيودْ
مزَّق اليأسَ والجمودْ
عابُد الحانة الصدي
سيِّدُ اللهو والدد
واستوى يرسلهُ صوتاً قويّا
يملأُ الدنيا هتافاً ودوياً
والمنى تخفقُ بالراياتِ حولَهْ
والصّدى يضْـربُ فيَ الآفـاق
جولَهْ
وينادي:
كانَ لي قلبٌ على دربِ الخطايا
سارَ منساقاً بهاتيك الزّوايا
مظلَمَ الأعماقِ منهوكَ الخلايا
فاستفاقْ
من عناقْ
ظبيةٍ تخطرُ كالنورْ
دُرّةٍ من عالم الحُورْ
مرحَباً بالحبِّ، بالنور المقدّسْ
مرحباً بالحقّ في صدري تَنفّسْ
وتلاشى الليلُ من أعماقِ ذاتي
هاتِها يا ساقيَ الخمرةِ هاتِ
واسقنيها خمرةً من شفَتيهاَ
وإليها،
قدِّم الروحَ إليها...

دعها

لوامة أبداً لا تهدأ..
كم صـرمت الأيام أحـلامـهـا لكنها
لا تستكين...
تـتـنزى بـهـــا مطايا الآلام والأحلام معا
فهي من قمة إلى منحدر ومن منحدر إلى قمة
وكل قــمــة منـحـدر إذا رنت لأعلاها، وهل ثمة أعلى في
تخلُّق مسـتـمر في لا مـحـدود خلق الله العظيم.
سألـتُ معلمي متى الاجتـياز
وعند كل منعطف حجاز...؟
قال:

دعْها فليس لمسرى عاشقٍ أمَدُ
طالَ السُّرى وحديثُ العاشقين غدُ
يا بُعد ما تتمَنّى في ترحّلها
من ذا يُكابدُ ما تَهْوى وما تجدُ
لَطالما هَتَفتْ أعماقُها ونأتْ
بها المُنَى كل منأى دُونه الأبدُ
فكلّما قَربَتْ مِنْ منهَلٍ هَتَفتْ
بهَا الضّلوعُ لقاصٍ آخرٍ يَرِدْ
حتّامَ يَنْهَبُها في دَرْبَها وَلَعٌ
وما يلذُّ لها مَعنىً ولا بَلَدُ

محمد

ما لمعناهُ في الحقيقة حَدُّ
كُلّ شيءٍ منْ نورِه مُستَمَدُّ
هَو هذي العُصورُ تترى تباعاً
هوَ هذي الجُموعُ حينَ تُعَدُّ
فهوَ ما بينَ ظاهرٍ يتَوَارى
وهوَ ما بينَ باطنٍ يَستَجِدُّ
قد مَشى عَبْرَهُ الوجُودُ سباقاً
نَحْوَ غاياته التي لا تُحَدّ
صُلبَتْ في مكانها عادياتٌ
ضَبحَتْ والطّريقُ قتلٌ وحدّ
عقرَ الدّربُ حلمَهَا وَبعيدٌ
ما رَماها إليه وَجْدٌ ووجْدُ
ما أرىَ الشّمسَ غيرَ جَذْوةِ شوقٍ
ساقَها في مسيرة الحُبِّ عَبدُ
والنّجومُ المسخّراتُ لأمْرٍ
قتلتْ ليلَها ولمْ تجْرِ بَعْدُ
غرقَت في فَضائه تائهاتٍ
مثلَ قَطْرٍ لو كانَ فَيَ البَحْرِ يَبْدو
سَلْ حراء عَنْ ليلة القدْرِ ما منْ
شاهِدٍ غيرِهِ هناك يُعدّ
شهد اللّحظَةَ اليتيمة لمّا
وقفَ الكونُ خاشعاً لا يَرُدّ
وصفوفٌ منَ الملائك رَتْلٌ
خلفَ رتلٍ منْ خيرِ ما صَفَّ جُنْد
وتوالي على البسيطة جبريلُ
وحيداً يَرُوحُ فيها ويَغْدو
ثُم نادى في الكوْن ثَمَّ مُناد
أيّها الظّامئونَ قدْ حانَ وِرْدُ
قَدْ تلاقى ركبُ السّماءِ بركْبِ الْـ
أرضِ في أحْمدِ الهُدى وهوَ فَرْدُ

صورة

مَثَلٌ قد تَجَسَّدا
وقديمٌ تَجَدَّدا
وجديدٌ جذورُهُ
ضارباتٌ بلا مدى
أرضه أو سماؤه
مثلما الصوتُ والصدى
ما ترى من تفاوت
مطلقاً أو مقيّداً
ليس شيءٌ كمثله
جَمَعَ الحسنَ مُفْرَدا
حُشِدَ الكونُ كلُّه
فيه حشداً مُجدَّدا
واستدار الزمانُ في
ذاته، مثلما بدا
مستمداً ومعطياً
واحدٌ، إن تَعَدَّدا
غايةٌ ما سما لها
قبْلَهُ مَنْ تمجّدا
صورة لن ترى لها
مثلاً قد تَرَدَّدا

كـــان من قـــبـلُ أحـــمـــدا
وأتـاهـا مـــحـــمّـــدا

● سألت الشبلي في لحظة إغفاءة: هل شهدت صلب الحلاج؟ قال: بلى شهدتُ مولده، وهو يتخلق في رحم الحقيقة ليكونَ للخليقة مثلا.

قال الحلاج: حسبُ الواحدِ إفرادُ الواحدِ له.

وقال الحلاج: ركعتان في العشق لا يَصِحُّ وضوؤهما إلا بالدم.

هجرتُ الطلولَ وأصحابَها
ووجَّهْتُ وجهيَ محرابَها
وأوقفتُ قلبي لها قبلةً
وكعبةَ مَنْ لم يجدْ بابها
فإنْ يَزْنِ بالحرف مُسْتَكتَبٌ
وأرجف بالبيت مَن رابها
هجرتُ منزلي ولن أعودَ ما بدا صَنَمْ
كم رحلة لرحلة
وقمّة إلى قممْ
خَلّفْتُها
دنوتُ منكَ قابَ قوسين ولمْ أعدْ أرى
لا اللاتَ لا العزَّى ولا ما يُفْترى
فلْتسقط القممْ
هجرتُ منزلي ولن أعود ما بدا صنمْ
أفْنَيْتني بكَ حتى لم أعدْ جَسَداً
وربَّ مُغْتَبط في جنة الجسدِ
وحسبُ مثليَ إفرادٌ لسيّده
فلْيُصْعَقِ الطودُ وليبقَ الهوى مَدَدي
خَلّفتُ هارونَ في قومي فما حفظوا
بيتي ولا صان قدسَ البيتِ من أحد
واستضعفوه وشادوا من حُلِيِّهُمُ
عِجْلاً فكسّرتُ ألواحي ولم أعدِ
هذا دمي يجري على الأرض اشربوا
يا أيها الأحبابُ من دمي اشربوا
هديّةُ الدماء لا تُكَذَّبُ
فكم تعذبَ الّذين لم يُجَرِّبوا
يا ليتهم، لكنّهم ما جَرّبوا الدَّما
ولم يروكَ مقلةً ولا فما
ولو تذوّقوا
لاستعذبوا العذابَ ثم لم يعذّبوا

أل... طوى... س

قلت لمعلمي ماذا يعني الحلاج بكلمة (الطواسين)؟ قال:

(أل) بمعنى الذي.. و(طَوَى) فعل ماض بمعنى أخْفى. و(س) تعني ذلك المخفي.

عُدْ بي إلى حرف الوجود
المشْرئبِّ لمنَتَهاها
مِنْ سدرةِ الحقِّ القديمِ
المستجدِّ على مداها

مـــا بـين غـــادٍ أو مُــقــيـمِ
لـم يكن فــيــهــا ســواهـا
يـا (سينُ) إن لـم يـعــرفــوا
مــن كــنــتَ إن الــلــه بــاهــى
صـلــى عـلـيـك الـلـهُ والإسمُ
المـتـــــرجمُ عـنـك طاهـا
مـــا كنتَ إلا المنتـــهـى
فــيــهــا وإنكَ مــبــتــداها
جـئنا إلـيكَ الـيــوم نفــخــرُ
والـفـــخـــارُ لمـن أتـاهـا
يـا كــعــبــةَ الـعــافين يـا
وجــهَ الـحــقـيـقــة يا سنـاها
جـئنـا إلى الأرض المقــدّســة
الـحـــمــى إنـا فـــداهـا
يا قِــبْلةً صلّى لهـا الـوجـدانُ
مـــا أحـلـى شـــذاهـا
مـا كـان غـيـرُكَ في قـديمات
الـعـــصــورِ ومــا تـلاهـا
يـا واحـــداً في الـقــبْلـتـينِ
لأنــتَ أولُ مــنَ بـــنــاهــا
لا يَحــزنَنَّكَ مَنْ يـســارع
في الـهـــوى أو من قـــلاهـا
فلســوف يـشـهـدها الـجـمـيـعُ
وعـنـد ربّكَ منتـــهـــاهـا

رسالة إلى شهيد

يتمنّى أمثالي
منْ ضعفاءِ الناسِ
ثيابَكَ،
للزينة يومَ الزينه
وثيابُكَ لا تقبلُ مَنْ لم يتوضأ
بالدمْ
شُبِّهْتَ لهم،
يا روحاً يتوفاها اللهُ
ليرفَعَها ذكرى
والذكرى لا تنفعُ مَنْ ينوي
فعْلَ الخير ويندمْ
سبحانَ الله
تعالى اللهُ وَجلَّ اللهُ
وصلّى اللهُ عليكَ وسلمْ

وجل

أ أشـــــواقٌ ولا قُـــــبَلُ؟
أمـــيـــعـــادٌ ولا أمَلُ؟
أقـــاتـلـتي.. وعـــاذلـتي!!
عـــجـبتُ!! وتـضـحـك المقلُ
مـــتـى تـرتـاح راحـلـتـي
وأســبــابُ الـنوى جُــمَلُ
فــرفـــقـــاً حين تـنقلُني
خطـاهـا نحــوَك الـسُّــبُلُ
فـــإني لـم أزل قَلقـــاً
يـشـــدّ أضـــالـعي وَجَلُ
إذا مـــا شِــمـتُ بـارقــةً
طـواهـا عـــاصفٌ عَـــجِلُ
فـيـهـمـزُ شـوقَ باصـرتي
خـــيـــالٌ منك مُــرْتَـحِلُ
فــأدنـو وهو مُــبْــتَــعـدٌ
وأســمـــو وهو يَنْتَــقِلُ

قدرٌ

1 ـ سَـرَى والليلُ قَـدْ وَفَـدا
يـشُقُّ الدّربَ مُــتّــئــدا
2 ـ وتـقــذفُــهُ الـنوى لـنوىً
تَـنامى شَــوطُـهــاً مَــدَدا

3 ـ فكم عَـصَـفتْ عـواصـفُـهـا
وعَـــربَدَ ليلـهـــا، وعَـــدا
4 ـ تَجـيـشُ به غـــواربُهـــا
وَلَمّا تـبـلـغ الأمَــــــدا
5 ـ فـــفـي أهْدابـه حُلُـمٌ
تَـجَلّى لَـمْ يَـزَلْ غَـــرِدا
6 ـ وَمَـــازالتْ جـــوَانحُـــهُ
بِـه خَـــفَّـــاقَـــةً أبَدا
7 ـ سَـيـمـضي والمُنى رَشَـدٌ
إلـى أنْ يَبْـلـغَ الـرَّشَــــدا
8 ـ فَـصُـبّي حِـقْـدَ حـاشـدَةَ
وكــوني مِــثْلَ مَن حَـشَـدا
9 ـ فـمـا يَـشْـقَى كَـذي إحَنٍ
يموتُ بـغـيـظه كَـمَـدا
10 ـ ألا أفــديكَ مُنْـقَـرِداً
تَـشُقُ الـدَّرْبَ مُـنْقَـرِدا
11 ـ فَلَـمْ تَحْـفَل بلائمـة
ولا منْ عـاذلٍ جَـهَـدا
12 ـ تُجَـدّدُ عِـشْقَ والِـدَة
هـواهـا أنْ تَـراكَ غَـدا
13 ـ فَـمـا ضَـمَّتْ أضـالعُـهـا
سـواكَ لفَـجْـرها أحَـدا
14 ـ إذا أقـبلتَ مُـحْـتَـشـداً
رأيت الكونَ مُـحْـتَـشـدا
15 ـ تسـيـرُ فَـيـسـتـوي قَـدَرٌ
قَـسـا أو لأن مُـبْـتَـرِدا

مصابيح بلا زيت

يا قدسَ الأقداسِ
كأسي عطشي
ودروبي موحشةٌ قَفْرُ
فأضيءُ مصباحي
عَلـقْـهُ عَلى مـشكاةِ الصـدرِ
المتعبِ
كلُّ مصابيحِ الدَّربِ بلا زيتِ
وإنائي فارغةٌ
تَلْعبُ فيها الريحُ
خَلّفني الرَّكْبُ
وليس ورائي أو مِنْ خلْفي
مُتّسعُ
فاشهَدني
إني لا أشـهـدُ بالمبـصـرةِ
المشحونةِ بالشّجو
ورفاقي بالأمسِ
رَموني بالكفرِ
وقالوا:
إني ما عدّتُ أرى
ورنوتُ إليكَ بطرفٍ موجوعٍ
لستُ أرى شيئاً
وتلفّتُ، وزاد حريقي.
وتـذكـرتُ، قـديمـاً من قـولِكَ
لي:
مَزِّق ما حولَكَ مِنْ حُجُبٍ
وبكينا.
ومضى حينٌ من دهرٍ
وأنا في كهفِ ظُنوني
أسأل عن مصباحِ البيتِ
فمصابيحُ البيتِ بلا زيتِ
يا قدسَ الأقداسِ
ارفعْني نحو فَمِ الشَّمْسِ
لَعَلَّ الركبَ يراني
وتذكّرتُ،
قديماً من قولِكَ لي:
(دَعْها)
وبكينا حتى فاض الكأس.

سواكب النور

هذا ترابُك أم هذا قديمُ دَمي؟
جَرى فأينعَ منْ همّي ومنْ همَمي
يقلّبُ الدَّهرُ أطواراً ملامحَه
فلا ترى غيرَ ما يُبديه من شِيَمي
فما تَحدَّثَ في التاريخ ذو خبرٍ
إلا وعبَّرَ عن وِجدانه بفمي
حُمِّلْتُ عنك الذي حمّلتني فأنا
وجهٌ لما فيك من سفحٍ ومن قمَمِ
يا موطناً كان آبائي له شَفَقاً
عند المغيبِ وفجرَ العارضِ العمِمِ
سَقيتُ من عطشي الصحراءَ ممطرةً
حتى بكتْ ساكناتُ الريحِ من دِيمي
وأزهرَ البحرُ روضاً من لآلئه
فما ترى ثغرَ جيدٍ غيرَ مبْتسمِ
أفديكَ يا وطني يا كُلَّ جارحة
منّي تُغنّي بما أوليتَ منْ نِعَمِ
إنْ أعطكَ اليومَ كم أعطَيتَ ساكبَةً
سواكِبُ النورِ تجري في فمي ودمي

****

يا بنتَ كاظمةَ أدنيتُ راحلتي
من الضفافِ، وما يَشْقي أخُو رَحِمِ
مُدّي يديك لكفّي. إنها قبسٌ
يُضيؤُها خبرُ الآتينَ من إرَمِ
يُحدّثون حديثاً لم يزلْ عَطِراً
كأنه قطراتٌ منْ فَمٍ لِفَمِ
كأنني حين أمضي في مرابِعهم
أرى أديميَ مُنْساباً منَ القِدَمِ
فلستُ غيرَ جديدِ الأمسِ مُنْجَدِلاً
على تُرابِك يجري من قديمِ دمي

التحدي

آتٍ وجرحُ النازفين قوادمي
ما ليلُ أحلامي كوقعِ صوارمي
قَذِرونَ ما صانوا حياضَ معالمي
وأنا الحفيُّ بهم، نديمُ مكارمٍ
أسقيكمُ بيدي كؤوسَ نوابضٍ
حرّى دماً لم تستكنْ لمصادم
فأضعتموها تاركين ضلوعَها
عطشى تمرّ بها رياحُ مُساومِ
يا صوتَ جلجلة الشجونِ نواظراً
بعيون ذي رمقٍ لساقٍ قادم
شتّانَ ما بيني وبين مخلَّعٍ
ما ذاق من طعمِ الجراحِ مطاعمي
فكتمتها وخبأتُ تحت نزيزها
قلباً أبى أنْ يستكينَ لظالم
كم جالدتْ همَمي منازعَ عصبةٍ
حشدوا الحشودَ وما لويتُ معاصمي
أيموت للفصحى قويّ شكائمٍ
قد أفصحتْ عنها ضروبُ شكائمي؟
أيموت في ذاتي نداءُ محلّقٍ
(يسري) دماً في نابضات ملاحمي؟
لا لن أموتَ وفي العروق ضفائرٌ
(بدريةُ) الأنسابِ ملءُ عزائمي
عربيةٌ ما ناوشتْها عُجْمَةٌ
موتورةٌ في طعنها لمكارمي
صُلبتْ على حطّينَ فهي مريضةٌ
زمني تنامُ على دفينِ مآثم
كم كابدت زمناً ليبلغَ نفحُها
من دون ما جدوى ـ سموَّ غمائمي
إنْ خانني زمنٌ فربّ خبيثةٍ
لم تُقتحم عرصاتُها منْ آثمٍ
وَشَجَتْ بها أحناءُ نازحةِ النوى
في خيمةٍ مشدودةٍ بعزائمي

شدّتْ بأضلاعي فكلُّ مساربي
مددٌ لهـا، في كل نوء حـائم
ما حاطها من قبلُ غيرُ مسلّمٍ
في عرضه من عالَم متلاحم
تتوافدُ الأنباءُ عن قَسَماتها
وعلى جبينِ الشمسِ بعضُ معالم
سبقتْ مواردَها بروقٌ مخلبة
موصولة عَذباتُها بغمائم
لله درّ خبيئة كشفَ العدى
عنها المهزومِ الطباعِ وهازم
كمنَتْ لما بطنوا ولما يدركوا
فجآتها في الموقف المتلاطم
ألْوَتْ بأعناق المطيّ عليمةً
بمسالك الطرقات دون مزاحم
إني رأيتُ على مباسم ثغرها
وجهي وأعراسي ونَفْحَ مواسمي
ورأيتُ أحلامي يتابع بعضُها
بعضاً لتنهَلَ من رحيقِ كمائمي
ورأيتُ زحفَ سيولها حملتْ لنا
أشلاءَ مثقوبِ الحفيظة غاشم
أبُنيَّ والأيامُ غيرُ وئيدة
في خطوها والدهرُ غيرُ مسالم
إنْ لم أكنْ حمّالَ رايةِ فجرِها
فلأنتَ موهوبي لها في قادمي
إني رأيتُكَ نبضَها متدفقاً
بالشوق في وجه لمثلك باسم
فتّحْ كمائمَ مُغلَقٍ بكَ مشرقٍ
لغدٍ تباركَ منْ غدٍ بكَ حالم

1979
خالد.. على الدوام في أروقة الإبداع

● ولد في الكويت في 27 من يناير 1937م.

● بدأ بالدراسة في المدرسة القبلية عام 1943م ثم المدرسة المباركية عام 1951م.

● ترك الدراسة للعمل عام 1957م وظل يعمل حتى أحيل على التقاعد عام 1986م.

● كان من مؤسسي رابطة الأدباء في الكويت، وفي عام 1967م انتخب أميناً عاماً للرابطة حتى عام 1973م.

● منذ عام 1973م حتى يونيو من عام 1981م، كان أمين سر مجلس إدارة الرابطة حتى استقال من أمانة السر وبقي عضواً في الهيئة الإدارية حتى 1983م.

● كان رئيساً لجمعية الفنانين الكويتية عام 1967م ولمدة عام واحد.

● كان واحداً من مؤسسي مجلة البيان التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت. وأحد أعضاء هيئة تحريرها منذ صدور عددها الأول في أبريل عام 1966م، وقد تولى سكرتارية تحرير المجلة وعين رئيساً لتحريرها عدة مرات.

● رئيس لجنة نصوص الأغاني في وزارة الإعلام منذ عام 1977م حتى عام 1982م، وفي نهاية 1991م أصبح عضواً في هذه اللجنة حتى تاريخه.

● عضو في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب من عام 1989م حتى عام 1990م.

● رئيس لجنة تشجيع المؤلفات في المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب منذ عام 1991م حتى تاريخه.

● عين عضواً في المجلس الاستشاري للإعلام منذ عام 1991م حتى عام 1993م.

● عضو في لجنة الاستماع للأغاني المسجلة في وزارة الإعلام التي شكلت في عام 1993م.

● عضو في جمعية مكتشفي حضارة الأنديز في الولايات المتحدة الأمريكية.

● شارك في مؤتمرات الأدباء العرب وفي العديد من المهرجانات الشعرية العربية والعالمية.

● شارك في معظم الأسابيع الثقافية التي أقامها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في كل من سوريا واليمن والجزائر والأردن والعراق وليبيا والمغرب العربي.

● مثل الكويت مرتين في مهرجان (شتروغا) للشعر العالمي الذي كان يعقد في يوغوسلافيا سابقاً.

● حصل على جائزة الكويت التقديرية في الآداب والفنون لعام 1983م من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في حقل الأدب العربي الحديث.

● أقيمت حلقة بحث حول أعماله الشعرية والنثرية نظمها ودعا إليها مركز الوطن العربي (رؤيا) في الإسكندرية في صيف 1988م.

● أعدت مجلة البيان التي تصدرها رابطة الأدباء في الكويت (ملفاً خاصاً عن خالد سعود الزيد) في العدد 225 ديسمبر 1984م.

● حصل على وسام المؤرخين العرب عام 1990م.

● أقام معرضاً للمخطوطات العربية والكويتية والمطبوعات الكويتية النادرة بمقر رابطة الأدباء في الكويت في الفترة ما بين 13 ـ 20 فبراير 1990م.

● اختير شخصية العام في الاستفتاء الذي قامت به مجلة الديرة لعام 1994م.

● حاضر في جامعة مانشستر عن الأدب العربي في الكويت عام 1982م وعام 1984م وله دعوة مفتوحة للمحاضرات في هذه الجامعة ومنعه للذهاب كل عام هناك ظروفه الصحية.

● فاز كتابه أدباء الكويت في قرنين بجائزة المعرض الدولي الذي يقيمه المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت كل عام وذلك سنة1982م.

● فاز كتابه «شيخ القصاصين الكويتيين فهد الدويري» بالمعرض الأول لرابطة الأدباء في الكويت الذي أقيم عام 1984م.

● رشح لجائزة الملك فيصل من قبل جامعة الكويت عام 1994م.

● ألقى عدة محاضرات بدعوة من وزارة الثقافة العمانية في مسقط عن الأدب العماني.

● كرمه قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الكويت يوم الأربعاء 16 فبراير 2000م باعتباره

رائداً من رواد الفكر والأدب والشعر في الكويت.

● قامت عمادة شؤون الطلبة في جامعة الكويت بتكريمه ضمن فعاليات مهرجان (في حب الكويت) باعتباره علماً من أعلام حب الكويت وذلك في 18 فبراير 2001م.

● حصل على شهادة تقدير من مهرجان جرش للثقافة والفنون الذي أقيم في الفترة ما بين 11 ـ 12 يوليو 1985م بالمملكة الأردنية الهاشمية.

● حصل على جائزة الدولة التقديرية في الثقافة لعام 2001م.

آثاره الفكرية

1 ـ من الأمثال العامة

2 ـ أدباء الكويت في قرنين (الجزء الأول)
الناشر ـ ذات السلاسل

3 ـ خالد الفرج ـ حياته وآثاره
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

4 ـ أدباء الكويت في قرنين (الجزء الثاني)
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

5 ـ عبد الله سنان ـ دراسة ومختارات بالاشتراك مع الدكتور عبد الله العتيبي

6 ـ صلوات في معبد مهجور (ديوان شعر)
الناشر ـ دار الأمل

7 ـ أدباء الكويت في قرنين (الجزء الثالث)
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

8 ـ الكويت في دليل الخليج (السفر التاريخي)
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

9 ـ الكويت في دليل الخليج (السفر الجغرافي)
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

10 ـ قصص يتيمة في المجلات الكويتية
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

11 ـ مسرحيات يتيمة في المجلات الكويتية
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

12 ـ مقالات ووثائق عن المسرح في الكويت
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

13 ـ سير وتراجم خليجية في المجلات الكويتية
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

14 ـ شيخ القصاصين الكويتيين فهد الدويري حياته وآثاره
الناشر ـ مكتبة دار العروبة

15 ـ كلمات من الألواح (ديوان شعر)
الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

16 ـ الشاعر محمد ملا حسين ـ حياته وآثاره

17 ـ ديوان خالد الفرج، الجزءان الأول والثاني تقديم وتحقيق. توزيع شركة الربيعان للنشر والتوزيع

18 ـ فهرس المخطوطات العربية الأصلية في مكتبة خالد سعود الزيد

19 ـ فهرس المخطوطات والمطبوعات الكويتية النادرة في مكتبة خالد سعود الزيد (إعداد) بالاشتراك مع الأستاذ عباس يوسف الحداد

20 ـ بين واديك والقرى (ديوان شعر) الناشر ـ شركة الربيعان للنشر والتوزيع

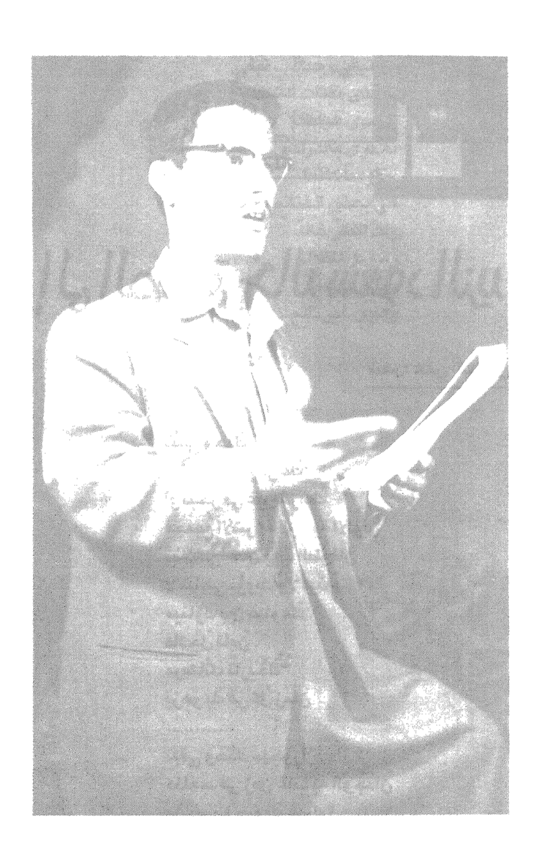
21 ـ صلوات من كاظمة (أشعار خالد سعود الزيد) دار سعاد الصباح ـ الكويت

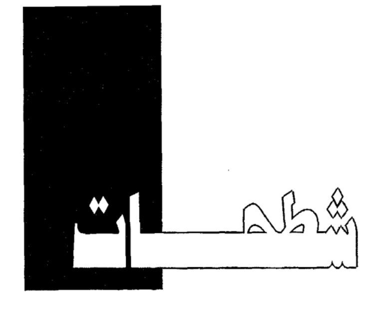
22 ـ الشجرة المحمدية تأليف محمد بن أسعد الجواني (تقديم وتعليق)

23 ـ أدب الرحلات في المجلات الكويتية

24 ـ عمانيات

25 ـ إطلالة على سيف كاظمة دراسات ومقالات جمع وتقديم: عباس يوسف الحداد





إلى الصديق خالد سعود الزيد

شعر: علي السبتي

تَبْقى وحدكَ
لا تتوسدُ غير ذراعكْ
أو تُبْحرُ في غيرِ شراَعكْ
فجميعُ الأشرعة الزاهيَة الألوانْ
تتلاشى. حين يَهبُّ الطوَفانْ
لا شاطئ يؤُويكَ ولا ميناءْ
ميناؤكَ بين ضلوعكْ
فادخُلْ تأمنْ
مرساتُكَ تاريخُكْ
يزهو بكَ في كلِّ زمانْ

....

تبقى وحَدَك مهجوراً
كالمعبد في زمنٍ غابَ به الوِجْدانْ
من يسمع صوتَّكَ غَيرُك؟
ورنينُ المال يصمُّ الآذان!!
فتحمَّل همكَ وامسحْ جُرْحَكَ

واحمدْ ربكَ أنك في هذي
الَفْوضَى إنسانْ
وستبقى وَحْدَكَ... تبقى
تتحدى نفثات الشيطانْ
تتحَدى عواطفَاً
تشترى بالدرَاهمِ
ونفوساً كأنما
هي بعض الغنائمِ
ولكَ الفكرُ خالدٌ
رَغْمَ كلِّ المظالمِ
وفؤادٌ محصَّنٌ
وهوىً غيرُ نائمِ

من منازل القمر

شعر: عبد الله ابراهيم الخاطر

إلى روح الأب خالد سعود الزيد

المنزل الأول: معلم الرياح
عنوان الدرس: أبجد ابن

تيممَ والريح من خافقيه تطير
يعلمها كيف تكتشف السر، من أمرها تستدير
تحابي الغيوم فتصعقها بالأثير
لتصنع من مائها كهرباء
فتعرف كيف تذوب مع البحر
وتفهم كيف تخاطب خفق الفراش
فتحمل أفكار كل النبات، من الأرض إلى الأرض عبر الفضاء
تقبل أنفاس كل الزهور
تراودها تستثير العبير.
المنزل الثاني: مقامات طيفية
كانت سنة ضوئية شهورها أيامها نفحات

وإن طاف حول الوجود
على عكسه النور يسقط بالليل
يفصِّل ألوان أبعاده ويعري الصور
هوى الذنب مما تكشَّف. يسأل ـ هل من سجود؟
يذود ومن شجر البرق يخصفه الطيف منتفضاً
شهيقاً على البدء ترسمه الكلمات
فتلمع جوهرتين
تألق منها النهار، يعود
تدب على وجهه صورة من حياة.

المنزل الثالث: عبد الباسط.
كان يبث بعض حزنه من القبض

تمحور دون الجهات التي أصبحت ساقطة
تمركز كالرمح في نقطة ثائرة
تيمم في وحشة صادقة، كالغزال الذي دار حول القمر،
في بحيرة ليل قديم
تدور فينجذب الكون في الدائرة
لتتسع الخارطة

المنزل الرابع: هلالية البث
ترددات عالية

منزَّلة كل أنفاسه الصاعدة
تضخمم إرسال بثٍّ على موجة عالية
فضائية راصدة
بمنزلة النور أفكارها خالدة.

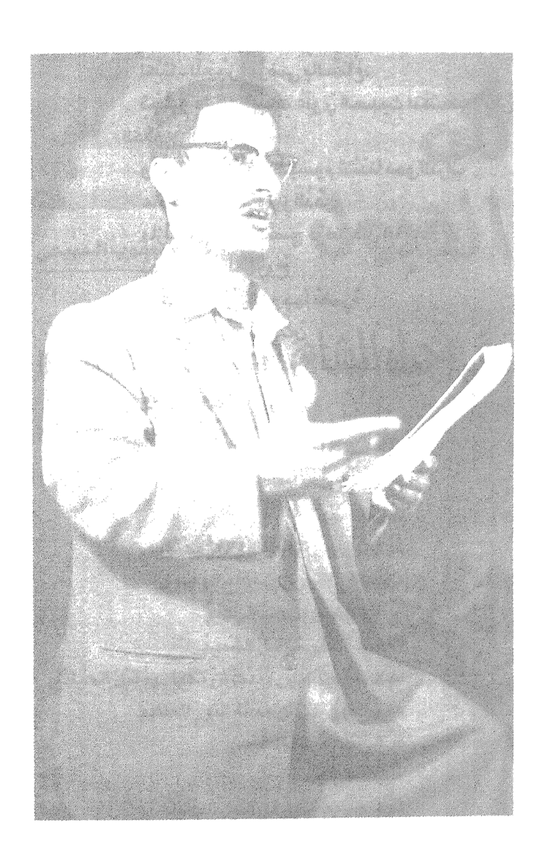
لكَ القبول

شعر: يعقوب السبيعي

«في رحيل الشاعر خالد سعود الزيد»

نَمْ مطمئناً راضياً عنك المليك،
ودعِ العيونَ الذارفاتِ لنا...
... وَلَكَ القَبُول.
نَمْ كالعروس يَزُفّهُ للنورِ نورٌ يَحْتَويه
فإذا التَقى النورانِ... فالله الوصول.
يا أيها المكسُوّ بالحبّ الرحيمْ
أنْفَاسُكَ الأنْقَى تَراتيلُ الشّمِيمْ.
نَمْ هانئاً بين الذين وَدَدْتَ أنْ تحيا بِهِمْ قَبْلَ الحياةْ،
هم يُعلنونَ الآن أن مَحَفّةَ النورِ العظيم
قَدْ هَيَّأتكَ لِعُرسِهَا القُدْسي
فاهنأ بِالزّفَافْ
نَمْ يا صَنيعَ النُّورُ في الليلِ الجَميلْ
فصَبَاحُكَ الآتي لِقَاءٌ بالحَبِيبْ
وَرُقيُّكَ التَّالي مَدَارِجُهُ الضّيَاءْ

كم حَدَّثَتْنا عَنْهُ في عينيك أشواقُ اللقاء
أوْ لَمْعَةٌ منْ فيض إيماضٍ عَجِزْنا أنْ نَعِيهْ.
لكنَّنا ـ للْعَجْزِ ـ نَرْضى بالسَّمَاعْ،
نَجْثُـو على عَتَـبَاتِ عُلْويِّ الحـديثِ لنكْتَـسي رِيشَ الكَلاَمْ
وتُحلِّقُ الأفكارُ لكنَّ الجسومَ تَشُدّنا نحو التراب
عامٌ يَمُرّ وأنتَ في نُورِ الدُّهُورِ
مازِلْتَ في عِلّيينَ تَنْسجُ فوقنا حُللَ الغَمَامْ
تَهَبُ السلام لكلّ رُوحْ
يا خالدَ الدَّارَيْن يا وجهاً مُضيءْ
يا مُرتَضَى في الحالَتينْ
نَمْ هانئاً في مَا تُحبُّ وَقُلْ لَنَا: كَيْفَ اللقاءْ؟
وَمَتى يكون؟
وَلَك القُبُولْ.



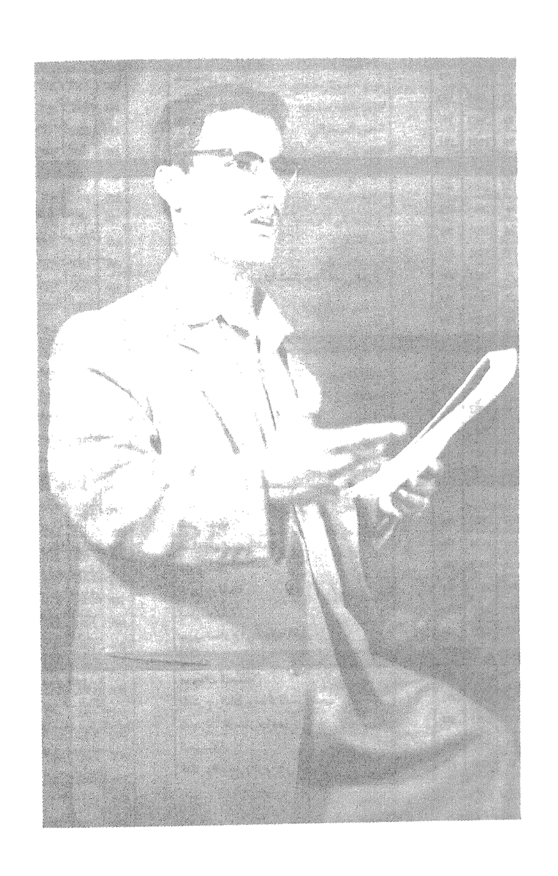
كشاف المؤلف

إعداد / محمد عبدالله

بركات محمد مراد	روحانية الفنون الإسلامية	396	2003	103
بو جمعة العوفي	حالات متشابهة	390	2003	70
ج				
جاك صبري شماس	لغة العيون: شعريا	399	2003	99
جميل داري	شجرة البحر	391	2003	86
جهينة علي حسين	تحت الثلج	400	2003	108
جوهر الجويهل	توظيف التاريخ في المسرح الشعري	396	2003	185
ح				
حافيظ إسماعيل	البلاغة والتلقي	399	2003	91
حسن فتح الباب	القطار	395	2003	77
حسن فتح الباب	قصائد قصيرة	399	2003	138
حسن مسكين	الأثر اللساني في الأدب	398	2003	9
حسني التهامي	الواقعية عند علي السبتي	391	2003	41
حسين الصديق	السلطة والمثقف	399	2003	20
حمود الشايجي	عهد الياسمين	391	2003	65
حمود يونس	أوابد الشعر	398	2003	85
حميد سمير	شعرية التواصل	396	2003	74
حميد لحمداني	نحو مسرح عربي متطور	393	2003	76
حميد لحمداني	أسئلة الاختبارات المتعددة في تلقي القصة القصيرة	392	2003	6
حنفي رضوان	عذابات الفيتوري سر إبداعاته	398	2003	55
حنيف يوسف	بين صلاتين	391	2003	89
حواء القمودي	إسبانيا	392	2003	88
حواس محمود	الثقافة والأخلاق	398	2003	20
خ				
خالد أحمد الصالح	موظف حكومة	394	2003	75
خالد أحمد الصالح	ذهبت أم حسين وبقي الحاكم	398	2003	168
خالد أمين	البحث عن الفرجة عند غروتوفسكي	395	2003	39
خالد الشايجي	لص البحر	400	2003	115
خالد الشايجي	الثقافة العربية	396	2003	193
خالد الشايجي	الحلم الصغير	395	2003	89
خالد الشايجي	دعاء الشيطان	398	2003	159
خالد سالم محمد	أغرب كتاب صادفته	395	2003	52
خالد سالم محمد	الكويت تعيد طباعة تاج العروس	393	2003	87
خالد سالم محمد	(رحلتي مع الكتاب) الحلقة الثامنة	390	2003	57
خالد سالم محمد	(رحلتي مع الكتاب) الحلقة الثانية عشرة	394	2003	55
خالد سالم محمد	(رحلتي مع الكتاب) الحلقة التاسعة	391	2003	45
خالد سالم محمد	(رحلته مع الكتاب) الحلقة العاشرة	392	2003	80
خالد سالم محمد	قطوف من الرفوف	398	2003	78
خالد محمود جمعة	اللسانيات والخطاب اللغوي	390	2003	5
خالد محمود جمعة	علم اللغة النفسي	396	2003	39

عز الدين المفلح	كويتزي الجدير بنوبل	401	2003	97
عزيز توما	جاك دريدا والحياة	398	2003	133
عصام ترشحاني	دوران النور	398	2003	201
عصام مفلح	غياب النقد الجاد	396	2003	32
عطية العقاد	ملحمية برتولت بريشت	398	2003	90
عفاف السيد زيدان	من شعر الأفغان	396	2003	90
علي السبتي	من أي يأتي الرضا؟	401	2003	167
على كتخدا	الفواتح	390	2003	68
عماد النويري	نقل الأدب إلى السينما	399	2003	104
عيد الدويخ	من خازن الذاكرة؟	401	2003	168
	غ			
غالية خوجة	أمامه ولا يتذكرها	396	2003	266
غنيمة زيد الحرب	دموع مونتانا	400	2003	107
	ف			
فاتن غازي	الأدب في رمضان المبارك	400	2003	58
فاضل خلف	من نفحات الكتب	395	2003	46
فاضل خلف	ليلة زفاف	399	2003	110
فاضل خلف	إلى الأستاذ أنيس منصور	390	2003	62
فاضل خلف	العارف بالله	401	2003	141
فاضل خلف	رحيل صامت للقطان	398	2003	73
فاضل خلف	زهر الربيع	392	2003	86
فاضل خلف	فاكهة الشتاء	400	2003	113
فاطمة التيتون	الأحباب	396	2003	263
فاطمة العبدالله	أمير الحب	396	2003	243
فتحية حسين	بين النص والعرض قراءة في عملين للحزامي والعثمان	393	2003	69
فريد أبو سعدة	إبراهيم عبدالمجيد	396	2003	164
فضيلة الفاروق	عناية جابر: جرأتي لا تلجم	401	2003	92
نعام شوسكي	أهداف النظرية اللسانية	394	2003	44
فهد العسكر	مختارات من شعره	394	2003	62
فيصل السعد	من وحي اليتيمة	399	2003	135
فيصل العلي	ابداع شبابي كويتي في البحرين	400	2003	133
فيصل خرتش	الأسلوبية	396	2003	208
فيصل خرتش	النهج الموضوعي في النقد الأدبي	394	2003	37
	ق			
قاسم محمد كوفحي	موليير الغامض	401	2003	134
	ل			
لحسن باكور	ثلاث قصص	396	2003	280
لطيفة الوارتي	الأجرومية: أهميتها وشروحها	390	2003	34
لطيفة بلخير	الرؤية التراثية في الخطاب المسرحي الفلسطيني	393	2003	65
لويزة عمير	الميهوبي وسقطت الورقة	400	2003	44

ليلى السبعان	اللغة واللهجة	399	2003	8
ليلى السيد	مررنا هناك	398	2003	189
	م			
ماجد راشد العويد	موت مصطفى سعيد	400	2003	128
محسن خضر	الموت يشبه صاحبه	399	2003	125
محمد التهامي العماري	الحس السيميائي	393	2003	47
محمد الحمامصي	القاهرة/ معرض الكتاب	392	2003	120
محمد الحمامصي	المرأة في السينما	398	2003	138
محمد الحمامصي	انه يحدق هناك	395	2003	82
محمد بسام سرميني	الواقعية في قعر أمنية	401	2003	86
محمد بسام سرميني	ضد التيار	400	2003	33
محمد بلاسي	النحو الصرفي	395	2003	57
محمد بن خالد عمر	حرية الرأي	400	2003	65
محمد حسن عبدالله	مع شعراء الكويت	399	2003	52
محمد زيدون	امرأة أضاعت البوصلة	392	2003	109
محمد عبدالمجيد الطويل	ظواهر عروضية من شعر حافظ إبراهيم	391	2003	16
محمد عزام	سلطة القارئ	396	2003	50
محمد علي وهبة	شعاع الحب	396	2003	274
محمد فؤاد نعناع	الشاعر العربي القديم	398	2003	110
محمد معتصم	الخطاب في حجر علي حجر	399	2003	75
محمد هاشم عبدالسلام	حكمة الجبل	401	2003	152
محمد هشام المغربي	انشودة المغيب	391	2003	59
محمود الضبع	الايقاع الشعري وقصيدة التفعيلة	394	2003	6
محمود قاسم	أدباء العالم كيف يرون العرب: حالة خوان غويتسلو	390	2003	104
محمود قاسم	ذكرى 11 سبتمبر والخيال السياسي	398	2003	125
محيي الدين خريف	غرناطة	398	2003	185
مدحت علام	محطات ثقافية	401	2003	170
مدحت علام	محطات ثقافية	398	2003	218
مدحت علام	محطات ثقافية	400	2003	140
مدحت علام	محطات ثقافية	395	2003	104
مدحت علام	في تكريم الرواد	396	2003	293
مدحت علام	في دار الآثار الاسلامية	396	2003	294
مدحت علام	في رابطة الأدباء	396	2003	288
مدحت علام	في رابطة الاجتماعيين	396	2003	292
مسفر بن علي القحطاني	المرأة والعودة إلى الذات	401	2003	7
مشعل العريبيد	يوتوبيا	391	2003	72
مصطفى النجار	الشهيد	396	2003	261
مصطفى عبادة	بورتريهات وفواصل	392	2003	91
مصطفى عراقي حسن	ابداع د. مبارك الصوري	396	2003	125
مصطفى غلفان	اللسانيات في العالم العربي	400	2003	17

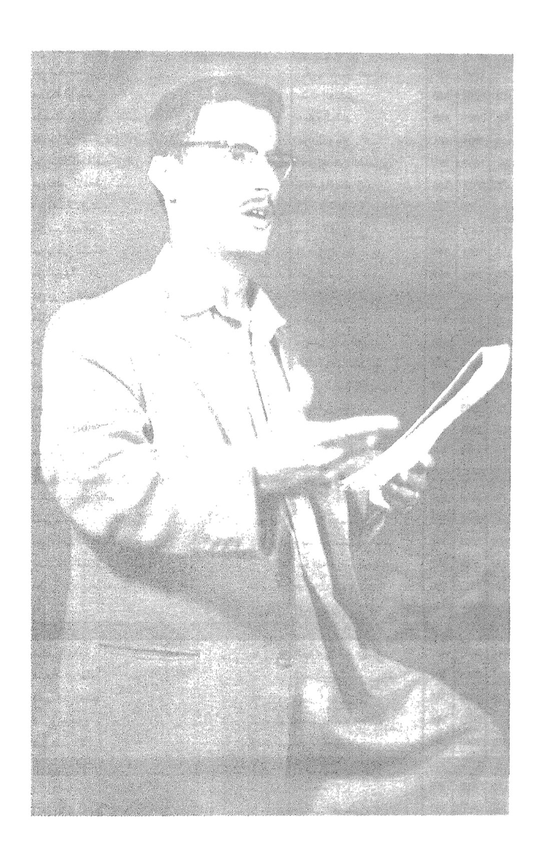


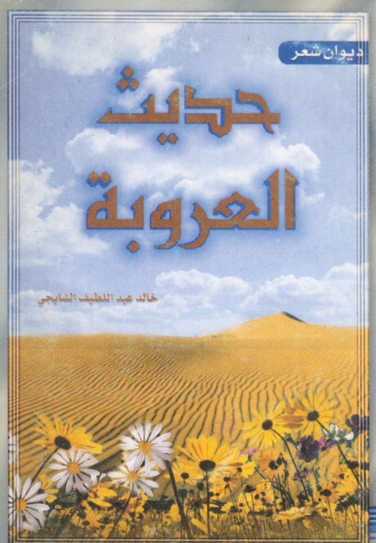
كشاف العنوان

إعداد / محمد عبدالله

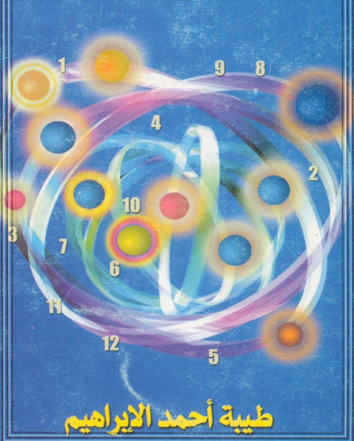
الانفتاح على الآفاق	عبدالمالك أشبهون	400	2003	7
الايقاع الشعري وقصيدة التفعيلة	محمود الضبع	394	2003	6
البحث عن الفرجة عند غروتوفسكي	خالد أمين	395	2003	39
البلاغة والتلقي	حافيظ اسماعيل	399	2003	091
التسكع بين أروقة العزلة	سعاد كواري	395	2003	80
التنفس	نيروز مالك	390	2003	79
الثقافة العربية	خالد الشايجي	396	2003	193
الثقافة والأخلاق	حواس محمود	398	2003	20
الحس السيميائي	محمد التهامي العماري	393	2003	47
الحلم الصغير	خالد الشايجي	395	2003	89
الحليب المر	نسرين طرابلسي	401	2003	149
الحي القديم	وزنة حامد أوسي	396	2003	277
الخطاب في حجر على حجر	محمد معتصم	399	2003	75
الخطاب واشكالية الهوية	الزواوي بغورة	401	2003	59
الدهليز	هديل الحساوي	400	2003	124
الرؤية التراثية في الخطاب المسرحي الفلسطيني	لطيفة بلخير	393	2003	65
الرمز لدى أمل دنقل	عبدالكريم درويش	396	2003	141
الروائي المنظر	عبدالكريم جمعاوي	401	2003	107
الرواية الحربية	السيد نجم	400	2003	74
السردية	يوسف وغليسي	401	2003	44
السرقات الأدبية وجذور القناص	أحمد طعمة حلبي	395	2003	8
السلطة والمثقف	حسين الصديق	399	2003	20
السهل	عبدالرحيم حزل	392	2003	113
الشاعر العربي القديم	محمد فؤاد نعناع	398	2003	110
الشخصية الرجالية ولعبة الأدوار	زهرة الجلاصي	398	2003	29
الشهيد	مصطفى النجار	396	2003	261
الصيغة السردية روائيا	عبدالعالي بو طيب	396	2003	80
الطهطاوي والغربي	سهام الفريح	401	2003	50
الطيف الأسود	أفراح فهد الهنذال	396	2003	270
العارف بالله	فاضل خلف	401	2003	141
العامية تتغلغل في مدارس التربية	عبدالله خلف	394	2003	4
العربة	عبدالغني عبد الهادي	399	2003	122
الغربة في آلام الزمن المعتم	عامر الحلواني	401	2003	71
الغريب	طالب هماش	396	2003	262
الفكر والجسد والروح في المسرح	يونس لوليدي	393	2003	56
الفواتح	علي كتخدا	390	2003	68
الفوضوي	صفوان صفر	391	2003	91
القاهرة/ معرض الكتاب	محمد الحمامصي	392	2003	120
القطار	حسن فتح الباب	395	2003	77
القطان الحاضر بابداعه	عدنان فرزات	398	2003	75

الكويت/ حصاد الرابطة	عبدالرحمن حلاق	390	2003	110
الكويت تعيد طباعة تاج العروس	خالد سالم محمد	393	2003	87
اللسانيات في العالم العربي	مصطفى غلفان	400	2003	17
اللسانيات والخطاب اللغوي	خالد محمود جمعة	390	2003	5
اللغة الشعرية في قصيدة النثر	سعيد أصيل	391	2003	28
اللغة واللهجة	ليلى السبعان	399	2003	8
المرأة الخليجية بين الواقع والحلم عند منى الشافعي	عبداللطيف الأرناؤوط	392	2003	34
المرأة في السينما	محمد الحمامصي	398	2003	138
المرأة والعودة إلى الذات	مسفر بن علي القحطاني	401	2003	7
المستنقع	مصطفى يعلي	392	2003	98
المسرح السياسي والعالم العربي	عبدالرحمن حمادي	398	2003	101
المسرح العربي بين النقد الأدبي والنقد المسرحي	عبدالمجيد البركاوي	392	2003	7
المسرح النسائي	نادر القنة	401	2003	126
المسرح والطفل واستراتيجية اللعب	يوسف الطالبي	393	2003	24
«المسكوت عنه في «لعبة خدوجة»	أحمد الشريف	398	2003	46
الموت يشبه صاحبه	محسن خضر	399	2003	125
الميهويي وسقطت الورقة	لويزة عمير	400	2003	44
الناقد وأحادية الرؤية	عبد بن محمد العضيبي	399	2003	32
النحو الصرفي	محمد بلاسي	395	2003	57
النزعة الانتقادية في زمن البوح	سمير أحمد الشريف	392	2003	39
النقد الغربي وأزمة نقدنا	سمير حجازي	396	2003	9
النقد والناس	خولة القزويني	398	2003	122
النهج الموضوعي في النقد الأدبي	فيصل خرتش	394	2003	37
الواقعية عند علي السبتي	حسني التهامي	391	2003	41
الواقعية في قعر أمنية	محمد بسام سرميني	401	2003	86
إلى الأستاذ أنيس منصور	فاضل خلف	390	2003	62
امرأة أضاعت البوصلة	محمد زيدون	392	2003	109
انه يحدق هناك	محمد الحمامصي	395	2003	82
إنسانية عطر الليل	أحلام الزعيم	399	2003	65
أولوية المنهج الوصفي في الدراسة المصطلحية	عبدالحفيظ الهاشمي	394	2003	10
ايقاع الالتفات والتفتات الايقاع	شرف الدين ماجدولين	392	2003	45
ب				
باخمان الشاعرة الفيلسوفة	رياض العبيد	398	2003	61
بوح	عبدالناصر الأسلمي	391	2003	71
بورتريهات وفواصل	مصطفى عبادة	392	2003	91
بين النص والعرض قراءة في عملين للحزامي والعثمان	فتحية حسين	393	2003	69
بين صلاتين	حنيف يوسف	391	2003	89
ت				
تاريخ مربوطة	نضال الصالح	392	2003	27
تاء الجمجة	عبداللطيف خطاب	392	2003	94




ديوان شعر
حديث العروبة
خالد عبد اللطيف الشايجي


دائرية الزمن


طيبة أحمد الايراهيم

صدر حديثاً